

الدلالة التركيبية عند شمس الدين الكرمانى في كتابه الكواكب الدارارى في شرح صحيح البخارى: في ضوء
علم اللغة الحديث

**Syntactic Semantics in Shams Al-Din Al-Kirmani's Al-Kawakib Al-Darari
(Commentary on Sahih al-Bukhari): An Analytical Study considering Modern
Linguistics.**

Ahmed Abdallah Mohammed Ali

PhD Candidate in Linguistics, Department of Arabic Language, Faculty of Languages and
Communication, Universiti Sultan Zainal Abidin (UniSZA).
Elbery2014.ae@gmail.com

Dr. Mohd Ala-Uddin Bin Othman

Department of Arabic Language, Faculty of Languages and Communication, Universiti
Sultan Zainal Abidin (UniSZA).

Dr. El Sayed Mohamed Salem Salem El Awadi

Associate Professor, Faculty of language, Al-Madinah International University

ملخص

Received: 2 May 2026
Revised: 10 June 2026
Accepted: 20 June 2026

*Corresponding Author:
Ahmed Abdallah
Mohammed Ali
PhD Candidate in
Linguistics, Department
of Arabic Language,
Faculty of Languages
and Communication,
Universiti Sultan Zainal
Abidin (UniSZA).
Elbery2014.ae@gmail.com

تتناول هذه الدراسة الدلالة التركيبية عند شمس الدين الكرمانى في كتابه الكواكب الدارارى في
شرح صحيح البخارى، وتبحث في طرائق توظيفه للبنية النحوية في توليد المعنى. وتهدف إلى إبراز
التقاطع بين تحليلات الكرمانى وبين بعض المباحث اللسانية الحديثة، ولا سيما في مجالات
الحذف، والتكرار، والإسناد، والتعديّة، والحصص، والاستثناء، والنكرة في سياق النفي والشرط.
واعتمدت الدراسة المنهج الاستقرائي لرصد الشواهد، والمنهج التحليلي لتفسيرها في ضوء علم اللغة
الحديث. وتبين النتائج أن الكرمانى قدّم قراءة دقيقة للعلاقات التركيبية بوصفها أداةً دلاليةً مؤثرة
في توجيه المعنى واستنباط الحكم، وأن شرحه يكشف عن وعي مبكر بوظائف السياق والبنية في
بناء الدلالة. كما يظهر أن منهجه يمثل حلقة وصل بين التراث اللغوي العربي واللسانيات الحديثة.
الكلمات المفتاحية: الدلالة التركيبية، الكرمانى، الكواكب الدارارى، علم اللغة الحديث.

Abstract

This study examines syntactic semantics in Shams al-Din al-Kirmani's Al-Kawakib al-Darari fi Sharh Sahih al-Bukhari, focusing on how syntactic structure contributes to meaning construction. It aims to show the relationship between al-Kirmani's analyses and selected topics in modern linguistics, especially deletion, repetition, predication, transitivity, restriction, exception, and indefiniteness in conditional and negative contexts. The study adopts an inductive method to collect relevant examples and an analytical method to interpret them in light of modern linguistic theory. The findings indicate that al-Kirmani treated syntactic relations as a key semantic device in guiding meaning and legal inference, and that his commentary reveals an early awareness of the interplay between context and structure in meaning making. His approach also serves as a bridge between Arabic linguistic heritage and modern linguistics.

Keywords: syntactic semantics, Al-Kirmani, Al-Kawakib Al-Darari, Modern linguistics.

خلفية البحث

التركيب هو نظم الكلمات المختلفة في سياق له معنى، فالكلمة في ذاتها لا تحمل دلالة إلا دلالتها الأساسية أو المعجمية التي يجب أن تستبك مع غيرها في سياق لتؤدي معنى يفهمه السامع. فليست كل اللغات على مسافة واحدة من هذا النظم؛ فبعض اللغات الإنسانية توظف وسائل مختلفة لنظم الكلمات معاً، وبعض هذه اللغات - كالإنجليزية - يوظف أكثر من وسيلة؛ لإنجاز هذا الهدف.

وغاية علم الدلالة النهائية من وراء نظم الكلمات في التركيب اللغوي هو المعنى، وهذا المعنى لا يتأتى إلا عبر حلقات متصلة تبدأ بالصوت مروراً بالمعجم والصرف والتركيب وتنتهي بالسياق؛ فالألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، وأن الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى اللفظة التي تليها.¹

وقد فطن قدماء علماء العربية لهذا النوع من الدلالات فجاء مستفيضة في أبحاثهم فيما عرف بعد ذلك بالدلالة النحوية، وليس أدل على ذلك من كلام ابن جني في كتابه الخصائص. فالمعنى ليس متفجراً من عين الكلمة

¹ الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1984، ص: 46.

المفردة، بل متفجرا من عين التركيب الذي سبكت فيه الكلمة، وهذا عين ما ترمي إليه الدراسات الحديثة في علم الدلالة التركيبي.

وتابع عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز حول دور الكلمة في التركيب فقال: وما ينبغي أن يعلمه الإنسان ويجعله على ذكر، أنه لا يتصور أن يتعلق الفكر بمعاني الكلم أفرادا ومجردة من معاني النحو.²

أهمية الموضوع

تأتي أهمية الموضوع من كونه دراسة تحليلية تكشف عن عمق الوعي اللغوي عند الكرمانى في توظيفه للبنية التركيبية في استنباط المعاني من الأحاديث النبوية الشريفة، وإبراز التقاطع بين منهجه وبين المباحث اللسانية الحديثة في علم الدلالة التركيبي، مما يؤكد أن التراث اللغوي العربي يمثل حلقة وصل أصيلة بين الدراسات اللغوية القديمة والحديثة.

أسئلة البحث

- 1- ما الدلالات التركيبية التي اهتم بها الكرمانى في شرحه للكواكب الدراري؟
- 2- كيف وظّف الكرمانى البنية النحوية في توليد المعنى واستنباط الأحكام؟
- 3- ما أوجه التقاطع بين منهج الكرمانى في التحليل الدلالي التركيبي وبين مباحث اللسانيات الحديثة؟

أهداف البحث

- 1- رصد الدلالات التركيبية في شرح الكرمانى للكواكب الدراري وتصنيفها.
- 2- تحليل منهج الكرمانى في توظيف البنية النحوية لخدمة الدلالة واستنباط الأحكام.

² الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص: 410.

3- إبراز التقاطع بين التراث اللغوي العربي ومباحث اللسانيات الحديثة في ضوء ما قدمه الكرمانى.

بعض نتائج البحث

- 1- اهتم الكرمانى بمفهوم الدلالة التركيبية ونظم الكلمات داخل السياق لإنتاج المعنى، موظفاً الحذف والتكرار والإسناد والتعديّة بحروف الجر لغايات تداولية.
- 2- اتخذ الكرمانى موقفاً متميزاً تجاه الزمن في التراكيب النبوية، حيث حلّل ظاهرة العدول من صيغة الماضي إلى المضارع لاستحضار صورة الرؤية للسامعين.
- 3- برز اهتمام الكرمانى بالدلالات الكمية والمنطق داخل التركيب، إذ بيّن أن المفرد المضاف يفيد العموم والاستغراق الشامل.
- 4- يظهر اختلاف الكرمانى عن النحاة التقليديين في ميله نحو التفسير الوظيفي والتداولي على حساب الشكلية المحضة.
- 5- تتقاطع تحليلات الكرمانى مع نظريات لسانية معاصرة كنظرية الأفعال الكلامية ونظرية غرابيس في الاستلزام الحوارى.
- 6- يؤكّد البحث أن الكرمانى جعل من البنية التركيبية مرجعيةً أساسيةً لاستنباط الأحكام وفهم علل الشريعة.

الدراسات السابقة

وجدت دراسات تناولت جوانب من شرح الكرمانى للكواكب الدرارى، ومنها دراسة أبو ضاوى (2008) بعنوان: شمس الدين الكرمانى وجهوده النحوية والصرفية في شرح صحيح البخارى، وهي رسالة دكتوراه من كلية الآداب جامعة عين شمس، تناولت مناقشة القضايا النحوية والصرفية في شرح الكرمانى دون التركيز على الدلالة لاسيما الدلالة التركيبية في ضوء اللسانيات الحديثة. ودراسة رستم (2001) بعنوان: شمس الدين الكرمانى وشرحه للجامع الصحيح، المنشورة في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت، وقد ركّزت على

التعريف بالكرمانى ومنهجه العام دون التركيز -أيضاً- على الجانب اللغوى عموماً والدلالى خصوصاً. وتنفرّد هذه الدراسة بتحليل الدلالة التركيبية عند الكرمانى وإبراز تقاطعها مع مباحث اللسانيات الحديثة بصورة منهجية.

التمهيد

يُعَدّ علم الدلالة التركيبى من أبرز مجالات الدراسة اللغوية المعاصرة، وقد بدأ عند الغربيين من خلال البحوث الدلالية فى علم النحو التحويلي. ومعنى الجملة عند الغربيين يعنى وظيفة معاني أجزائها، أو معنى الوحدات القاموسية، والصلات الدلالية بين مكونات الجملة. وكلام علماء العربية من أمثال ابن جني وعبد القاهر الجرجاني والسكاكي عن الدلالة النحوية أو التركيبية يثبت فساد الآراء التي قالت إن العرب قد اهتموا بالشكل على حساب المضمون فى الدراسات النحوية القديمة.

وقد بيّنت الدراسات الحديثة أنها كانت امتداداً للدراسات العربية القديمة فى النظر بالاهتمام للعلاقات الدلالية بين الصيغ الصرفية فى الجملة الواحدة، وانتهوا إلى رفض الجمل صحيحة الشكل فاسدة المضمون من مثل: أرضعت الطفلة دميّتها.³ فالجملة صحيحة شكلاً لكنها فاسدة المعنى والمضمون.

وفيما يأتي طائفة من الدلالات المشروحة فى كتاب الكواكب الدارارى فى شرح صحيح البخارى لشمس الدين الكرمانى التي تكشف عن عمق الوعي الدلالى لديه.

المبحث الأول: الدلالة التركيبية

التركيب هو نظم الكلمات المختلفة فى سياق له معنى، فالكلمة فى ذاتها لا تحمل دلالة إلا دلالتها الأساسية أو المعجمية التي يجب أن تستبك مع غيرها فى سياق لتؤدي معنى يفهمه السامع. فليست كل اللغات على مسافة واحدة من هذا النظم؛ فبعض اللغات الإنسانية توظف وسائل مختلفة لنظم الكلمات معاً، وبعض هذه اللغات -كالإنجليزية- يوظف أكثر من وسيلة؛ لإنجاز هذا الهدف.⁴

³ السمران، محمود، علم اللغة: مقدمة للقارئ العربى، القاهرة، دار المعارف، 1997.

⁴ إتشسن، جين، اللسانيات: مقدمة إلى المقدمات (ترجمة: عبد الكريم محمد جبل)، القاهرة، المركز القومى للترجمة، ط1، 2016، ص: 149.

وغاية علم الدلالة النهائية من وراء نظم الكلمات في التركيب اللغوي هو المعنى، وهذا المعنى لا يتأتى إلا عبر حلقات متصلة تبدأ بالصوت مروراً بالمعجم والصرف والتركيب وتنتهي بالسياق؛ فالألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، وأن الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى اللفظة التي تليها.⁵

وقد فطن قدماء علماء العربية لهذا النوع من الدلالات فجاء مستفيضة في أبحاثهم فيما عرف بعد ذلك بالدلالة النحوية، وليس أدل على ذلك من كلام ابن جني في كتابه الخصائص، حيث قال: يقول النحويون أن الفاعل رفع، والمفعول به نصب، وقد ترى الأمر بضد ذلك؛ ألا ترانا نقول: ضُرب زيد فرفعه، وإن كان مفعولاً به، ونقول أن زيدا قام، فننصبه وإن كان فاعلاً، ونقول: عجبت من قيام زيد فنجزه، وإن كان فاعلاً، قد قال الله عز وجل: (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)⁶، فرفع (حيث) وإن كان بعد حرف الخفض. ومثله عندهم في الشناعة قوله عز وجل: (فِي بَضْعِ سِنِينَ ۖ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِهِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ)⁷ وما يجري هذا المجرى.⁸ فالمعنى ليس متفجراً من عين الكلمة المفردة، بل متفجراً من عين التركيب الذي سبكت فيه الكلمة، فلزمت حالة مختلفة من الرفع والنصب والجر تبعاً لملزومها في التركيب، وهذا عين ما ترمي إليه الدراسات الحديثة في علم الدلالة التركيبي.

وتابع عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز حول دور الكلمة في التركيب فقال: وما ينبغي أن يعلمه الإنسان ويجعله على ذكر، أنه لا يتصور أن يتعلق الفكر بمعاني الكلم أفراداً ومجردة من معاني النحو.⁹ فالمعنى عنده يستحيل تكوينه من أفراد الكلمات المجردة من التركيب النحوي، فهذا التركيب هو الذي يكسب هذه الكلمات المعاني المتحصلة في ذهن السامع والمتكلم. فلم ينظر علماء العربية إلى تلك القواعد النحوية نظراً سطحية لا تتجاوز ترتيب الألفاظ، بل تخطوا ذلك إلى العلاقة بين مفردات التركيب، قال السكاكي: اعلم أن علم النحو

⁵ الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص: 46.

⁶ سورة البقرة، الآية: 149.

⁷ سورة الروم، الآية: 4.

⁸ ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1385هـ، 1/184.

⁹ الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص: 410.

هو أن تنحو إلى معرفة التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقاً بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب وقوانين مبنية عليها ليحترز بها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية.¹⁰

وقد عرف هذا النوع من دراسة دلالة الجملة بعلم الدلالة التركيبي أو علم دلالة الجملة، وقد بدأ عند الغربيين من خلال البحوث الدلالية في علم النحو التحويلي. ومعنى الجملة عند الغربيين يعني وظيفة معاني أجزائها، أو معني الوحدات القاموسية، والصلات الدلالية بين مكونات الجملة، كما بحثوا معني الوحدات الصرفية (المورفيمات المفردة) والمعاني التي تتحقق من الصلات النحوية بين هذه الوحدات.¹¹

وكلام علماء العربية من أمثال ابن جني، وعبد القاهر الجرجاني، والسكاكي عن الدلالة النحوية أو التركيبية يثبت فساد الآراء التي قالت إن العرب قد اهتموا بالشكل على حساب المضمون في الدراسات النحوية القديمة، بيد أن الدراسات الحديثة كانت امتداداً للدراسات العربية القديمة في النظر بالاهتمام للعلاقات الدلالية بين الصيغ الصرفية في الجملة الواحدة، وانتهوا إلى رفض الجمل صحيحة الشكل فاسدة المضمون من مثل: أرضعت الطفلة دميها.¹² فالجملة صحيحة شكلاً لكنها فاسدة المعنى والمضمون، فلا يمكن للطفلة أن ترضع فضلاً عن أن ترضع دمية!

وقد بينت في مقدمة هذا الفصل عن الدلالة كثيراً من الموضوعات التي يتناولها علم اللغة التركيبي أو النحوي وفي هذا المبحث أسوق مجموعة من القضايا التركيبية التي شرحتها شمس الدين الكرمانى في كتابه الكواكب الدراري وقد حملت تلك القضايا كثيراً مما اشتركت فيه الدراسات العربية القديمة والدراسات اللغوية الحديثة حول الدلالة، ووظيفة الكلمة داخل الجملة، وما تكتسبه تلك الكلمات من دلالات أو ما تسلبه منها، بناءً على ترتيبها داخل الجملة أو التركيب. وفيما يأتي طائفة من الدلالات المشروحة في كتاب الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري لشمس الدين الكرمانى.

10 عكاشة، محمود، التحليل اللغوي في ضوء علم اللغة، القاهرة: دار النشر للجامعات، 2011م، ص 115.

11 عكاشة، محمود، التحليل اللغوي في ضوء علم اللغة، ص 119.

12 السعران، محمود، علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، القاهرة، دار المعارف، 1997.

المبحث الثاني: من الدلالات التركيبية عند شمس الدين الكرمانى في الكواكب الدراري

1- دلالة اتحاد الشرط التعظيم والتحقيق

والمقصود باتحاد الشرط اتحاد الشرط والجزاء، بمعنى جعل مادتهما واحدة؛ ففي حديث: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ)¹³. يقول الكرمانى: (إلى ما هاجر إليه) إما أن يكون متعلقاً بالهجرة والخبر محذوف أي هجرته إلى ما هاجر إليه غير صحيحة أو غير مقبولة، وإما أن يكون خبر فهجرته والجملة خبر المبتدأ الذي هو (من كانت) وأدخل الفاء في الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط. فإن قلت المبتدأ والخبر بحسب المفهوم متحدان فما الفائدة في الإخبار. قلت لا اتحاد إذ الخبر محذوف وهو فلا ثواب له عند الله، والمذكور مستلزم له دال عليه، أو فهي هجرة قبيحة خسيصة؛ لأنه الخبر. وكذا الشرط والجزاء إذا اتحدا صورة يعلم منه التعظيم نحو أنا أنا، وشعري شعري، ومن كانت هجرته إلى الله وإلى رسوله أو التحقيق نحو فهجرته إلى ما هاجر إليه.¹⁴

فجملة الشرط: كانت هجرته إلى دنيا يصيبها... وجملة الجواب: فهجرته إلى ما هاجر إليه. وقد قرر دالتين لاتحاد الشرط والجواب على هذه الصورة. أما الأولى: التعظيم، وأما الثانية: التحقيق، وَرَبَطَ دلالة التحقيق بصيغة هذا الحديث عندما جاء المتعلق المجرور بـ(إلى) في الجواب اسماً موصولاً (ما) كما سُبَيِّنَ في مواضع أخرى.

وتعد مسألة اتحاد الشرط والجزاء في الفكر النحوي والبلاغي عند الإمام الكرمانى وجهاً من وجوه العدول عن الأصل لغرض تداولي، حيث يعالج الكرمانى قضية الإخبار بالشيء عن نفسه أو جعل الجزاء عين الشرط في قوله صلى الله عليه وسلم: (فهجرته إلى ما هاجر إليه). فمن منظور اللغويين العرب القدامى، يرتكز هذا التوجيه على فكرة التقدير والإضمار؛ إذ إن الإخبار بالشيء عن نفسه يُعد لغواً في ظاهر اللفظ ما لم يتضمن فائدة متجددة. الأمر الذي حداهم لتقدير محذوف؛ لأن القاعدة عند أهل الصناعة أن الشرط والجزاء والمبتدأ والخبر

¹³ الكرمانى، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط2، 1981م، 16/1-17.

¹⁴ الكرمانى، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 19/1.

لا بد من تغييرهما، فالتقدير: فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله نية وعقداً، فهجرته إلى الله ورسوله حكماً وشرعاً.¹⁵

وحذف الجواب على هذا التقدير يقع في مواقع التفضيم والتعظيم ويجوز حذفه لعلم المخاطب وإنما يحذف لقصد المبالغة لأن السامع مع أقصى تخيله يذهب منه الذهن كل مذهب ولو صرح بالجواب لوقف الذهن عند المصريح به.¹⁶

وهو ما دفع الكرمانى لتقدير خبر محذوف يخرج الجملة من دائرة التكرار المحض إلى دائرة الإفادة، متبعاً في ذلك منهج الزمخشري (1987م) في تفسيره لأسلوب الإبهام الذي يقع في الجزاء ليحمل دلالات التهويل أو التحقير.

كما أن اتحاد المادة بين الشرط والجواب في (فهجرته إلى ما هاجر إليه)، بالإعراض عن تكرير لفظ فعل الشرط (كانت هجرته إلى دنيا يصيبها...) وإبهامه بـ (ما) يُعدُّ مقام ذمٍّ أو تقليلٍ أفاد التحقير لشأن الدنيا. وبذلك يكون استخدام الاسم الموصول (ما) في جواب الشرط أداة مقصودة للإبهام الذي يوحى بالتفاهة وعدم الاستحقاق للذكر، وهو ما يُعرف في الصناعة النحوية بترك التصريح بالشيء استصغاراً لشأنه، حيث يكون التقدير الذهني: فهجرته قبيحة أو لا ثواب فيها.

أما في ضوء اللسانيات الحديثة، فإن هذه الظاهرة التركيبية تُحلل في إطار مبدأ من مبادئ التداولية (Pragmatics)، هو مبدأ التعاون (Cooperative Principle) ونظرية الاستلزام الحوارى (Conversational Implicature) التي وضعها غرايس (Grice) فوقوع الاتحاد بين الشرط والجزاء يمثل خرقاً ظاهرياً لقاعدة الكم (Maxim of Quantity)، حيث لا يقدم المتكلم معلومات لغوية جديدة في الجواب؛ حيث يُدفع السامع إلى البحث عن معنى إضافي غير مصرح به لتصحيح مسار التواصل.¹⁷

¹⁵ ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، دمشق، دار النوادر، ط1، 2008، 190/2.

¹⁶ الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1957، 183/3.

¹⁷ أحمد، علاء رمضان عبد الكريم، الدلالات الاستلزامية للأساليب الإنشائية في الطواسين: دراسة تداولية في ضوء نظرية الاستلزام الحوارى لجرايس، مجلة الدراسات العربية (كلية دار العلوم - جامعة المنيا)، 2023.

وهذا النوع من التكرار البنيوي (Syntactic Redundancy) ليس لغوياً، بل هو إجراء أسلوبى يوظف لخدمة الموقف النفسى للمتكلم تجاه الحدث. فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يذكر الجزاء صراحة، واكتفى بالإحالة المبهمة (Vague Reference) بالاسم الموصول في قوله (ما هاجر إليه)، وهو بهذا قد خلق فجوة دلالية مقصودة تعرف في التداولية بخرق مقولة الطريقة (Manner Maxim). ويعزى وصف هذا العدول الإحالي لليفنسون.¹⁸، حيث يشير إلى توليد استلزام حوارى (Conversational Implicature) يملؤه السياق بظلال التحقير؛ حيث يُستثمر الغموض هنا كاستراتيجية تداولية للدلالة على تفاهة المهاجر إليه وعدم استحقاقه للذكر فالمهاجر لغرض دنيوي لا يستحق جزاؤه أن يُسمى باسم شريف، بل يُكتفى فيه بالإشارة المبهمة التي تعيد الفاعل إلى نقطة يعاد تقييمه فيها. وهذا يقودنا إلى أن القيمة الإخبارية (Information Value) قد انتقلت من مستوى النظام النحوي المغلق إلى مستوى الوظيفة التداولية المفتوحة على السياق، هادفة بالدرجة الأولى إلى تشكيل موقف تقييمي (Evaluative Stance) لدى المتلقي تجاه الحدث وصاحبه.¹⁹

2- دلالة التكرار

2.1 التكرار لدلالة التعظيم

تكرار لفظ الجلالة مع حرف الجر (إلى الله) ولفظ رسوله مع حرف الجر (إلى رسوله) في حديث النية (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى...)²⁰، حيث دلّ تكرار لفظ الجلالة ولفظ الرسول في قوله صلى الله عليه وسلم: (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله...) على التعظيم والتفخيم حيث يفاضل الحديث بين الهجرة الخالصة لله والهجرة من أجل الدنيا. يقول الكرمانى: وفي تكرار لفظ إلى الله وإلى رسوله في الشرط والجزاء تعظيم لمعنى تلك الهجرة وتفخيم لشأنها، أي هي الهجرة الكاملة وما سواها ليست بهجرة ولهذا السر غير العبارة في متعلق الجزاء الثانى بلفظة ما خطأ لمنزلتها.²¹

¹⁸ Levinson, S. C. (n.d.). Pragmatics. Cambridge University Press

¹⁹ Saeed, J. I., Semantics, Wiley-Blackwell, 1st ed., 2009.

²⁰ الكرمانى، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 17/1.

²¹ الكرمانى، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 25/1.

2.2 التكرار لدلالة الاهتمام

قال الكرماني: فإن قلت فلم كرر لفظ له أجران. قلت البلغاء يكررون بعض الكلام حين طوله اهتماماً به.²² قاله في سياق شرح الحديث: (ثَلَاثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ...) ²³، وقد كُرِّرَ لفظ أجران في قوله صلى الله عليه وسلم: (وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أُمَّةٌ يَطَّوُّهَا فَأَدَّبَهَا، فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا، فَلَهُ أَجْرَانِ) فقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الصنفين الأولين دون تكرار لفظ (أجران) وخص تكرار هذا اللفظ مع الصنف الأخير فقط للاهتمام به؛ حيث طال سياق الكلام حتى دُيِّل.

2.3 التكرار لدلالة التأكيد أو زيادة التفصيل

جاء في أول كتاب الوضوء: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَبَيَّنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ فَرَضَ الْوُضُوءِ مَرَّةً مَرَّةً.²⁴ فقال الكرماني معلقاً على تكرار لفظ مرة: فإن قلت ما فائدة تكرار لفظ مرة؟ قلت إما للتأكيد وإما لزيادة التفصيل؛ أي فرض الوضوء غسل الوجه مرة، وغسل اليدين مرة، وغسل الوجه مرة، نحو: بوبت الكتاب باباً باباً. أو فرض الوضوء في كل وضوء مرة في هذا الوضوء مرة وفي ذلك مرة فالتفصيل إما بالنظر إلى أجزاء الوضوء وإما بالنظر إلى جزئيات الوضوء.²⁵

فالتكرار في المنهج اللساني عند الإمام الكرماني أداة تركيبية تتعدى وظيفة الحشو اللفظي إلى إنتاج دلالات إضافية تتعلق بمقام الخطاب، وهو ما يُلمس واضحاً في تحليله لحديث الأعمال بالنيات؛ فقد رأى الكرماني أن دلالة إعادة ذكر لفظ الجلالة والرسول مقرونين بحرف الجر (إلى الله وإلى رسوله) في جواب الشرط بعد ذكرهما في مقدمته لا يقصد به محض الإخبار، بل لغرض التعظيم والتفخيم لهذه الهجرة ورفع شأنها.

²² الكرماني، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 90/2.

²³ الكرماني، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 87/2.

²⁴ الكرماني، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 168/2.

²⁵ الكرماني، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 169/2.

وهذا يتفق مع ما ذهب إليه اللغويون العرب القدامى، أنَّ العرب تكرر اللفظ تأكيداً وإشادةً بذكره، فيما يُعرف في البلاغة بإظهار المقتضى في مقام الإضمار حيث يوضع الظاهر موضع الضمير غرضاً في استحضار هيئة الاسم، وإلقاء المهابة في نفس السامع، كقول: الخليفة أمير المؤمنين يأمر بكذا، وتمكين المعنى في نفس المخاطب، نحو: الله ربي ولا أشرك بربي أحداً، والتلذذ، كقول الشاعر: سقى الله نجداً والسلام على نجد ويا حبذا نجد على القرب والبعد (الهاشمي، د.ت، 110).

وفي تحليل الخطاب (Discourse Analysis)، يستحيل هذا التكرار النبوي آليةً لإنتاج البروز الدلالي والخطابي (Semantic/Discourse Salience)؛ حيث يركز على الهدف الأسمى في فعل الهجرة. كما يُعد هذا التكرار أيضاً خرقاً ظاهرياً (Flouting) لمبدأ الكم (Maxim of Quantity) عند غرايس²⁶؛ إذ إنَّ الزيادة في اللفظ عن قدر الكفاية لم تأت لغواً، بل لتوليد استلزام حوارى (Conversational Implicature) يقود ذهن المتلقي -حتماً- إلى استشعار سمو منزلة المهاجر لله ورسوله، فيضاد هذا البروز الأسلوبى استراتيجىة الإبهام النحوى فى الجزء الثانى من الحديث الشريف فى قوله (ما هاجر إليه)، حيث كان الغموض دالاً على الخط من شأن هجرة الدنيا وتحقيراً لغايتها.

والكرمانى عند توجيهه للتكرار فى قول النبى صلى الله عليه وسلم: (له أجران) فى الحديث الثانى، جعل دلالة الاهتمام والبروز الخطابى (Discourse Prominence) هى المقصد الأساس من التكرار؛ لتعويض طول الفاصل الذى باعد بين المبتدأ وخبره الأخير. فالتكرار يؤدى وظيفة جوهريّة فى تحقيق التماسك النصي (Cohesion) بإعادة ربط طرفي الجملة الاسمية المتباعدين.²⁷ ثم إن هذا التكرار يستخدم كأداة لاستدعاء المعلومات وتنشيطها فى الذاكرة العاملة (Working Memory) لدى المتلقي بعد طول الفاصل المجهد عقلياً؛ فيمنع التشتت الذهني ويخفف من العبء الإدراكي الناشئ عن طول الكلام.²⁸

3- دلالة الإسناد

²⁶ Grice, H. P., Logic and conversation, Academic Press, 1975.

²⁷ Halliday, M. A. K., & Hasan, R, Cohesion in English. Routledge 2013..

²⁸ Kintsch, W., Comprehension: A Paradigm for Cognition, Cambridge University Press, 1998.

3.1 إسناد الفعل لغير الفاعل لدلالة المشاركة

قال الكرماني معلقاً على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث: (...فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ. قَامَ الْخَضِرُ بِيَدِهِ فَأَقَامَهُ. فَقَالَ لَهُ مُوسَى لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً). قال: وإسناد الإرادة إلى الجدار مجاز إذ لا إرادة له حقيقة والمراد هنا المشاركة....²⁹

3.2 إسناد الفعل لشخص مجرد من النفس لدلالة الالتفات

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ، فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا اخْتَلَمَتْ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ) فَغَطَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ - تَغْنِي وَجْهَهَا - وَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ قَالَ: (نَعَمْ تَرَبَّتْ يَمِينُكَ فِيمَ يُشْبِهُهَا).

في تعليق الكرماني على هذا الحديث أرجع عود ضمير الغيبة المضمر بعد الفعل (فغطت) إلى احتمالين الأول: أن يكون عائداً إلى زينب وهي التي روت عن أم سلمة، والثاني: أن يكون عائداً على أم سلمة نفسها وهي التي روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فعلى الاحتمال الأول فالكلام مستقيم وعلى الاحتمال الثاني ففيه نوع من التفات إذ انتقل الكلام من ضمير الغيبة على لسان أم سلمة رضي الله عنها إلى ضمير المتكلم متحدثاً عن نفسها قائلة: فغطت أم سلمة... وعليه يعلق الكرماني قائلاً: قوله (فغطت أم سلمة) الظاهر أنه من كلام زينب فالحديث ملفق من رواية صحابيتين ويحتمل أن يكون من أم سلمة على سبيل الالتفات كأنها جردت من نفسها شخصاً فأسندت إليه التغطية إذا أصل الكلام فغطيت وجهي وقلت يا رسول الله.³⁰ وتجريد شخص من النفس يعني إنزال المتحدث نفسه منزلة الغائب ويتكلم حكاية عنه.

والدلالات التي أقرها الكرماني للإسناد في تحليله تتجاوز المستويات النحوية الشكلية لتصل إلى أغراض تداولية ونفسية تخدم المقصد النبوي، ويظهر ذلك في معالجته لإسناد الفعل لغير الفاعل الحقيقي، كما في قوله تعالى حكاية عن الجدار: (يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ)، حيث اعتبر الكرماني أن إسناد الإرادة للجماد من قبيل المجاز العقلي؛ إذ

²⁹ الكرماني، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 145/2.

³⁰ الكرماني، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 159/1-160.

إنَّ الجدار لا إرادة له حقيقةً، وإنما أُسند إليه الفعل للدلالة على المشاركة وقرب السقوط. وهذا لا يخرج عن تحليل الاستعارة والتمثيل لدى بلاغيّ العرب؛ إذ إنَّ إسناد صفات العقلاء لما لا يعقل يهدف إلى تجسيد المعنى وتحويل الحالة الساكنة إلى مشهد حي ينبض بالحركة.

وإذا ما قارنّا ذلك بمنجز اللسانيات المعرفية فإنه يعد سبقاً لعلماء العرب؛ إذ يتطابق التحليل عند الكرمانى مع مفهوم التجسيد أو التشخيص؛ حيث يتم استعارة المخططات الإدراكية (Schema) الخاصة بالإنسان لإسقاطها على المادّيات لتسهيل عملية الفهم وتصوير قوة الدفع نحو الحدث.³¹ إن هذا التجسيد يمثل أيقونية ذهنية (Mental Iconicity) تعكس الحالة المائلة للجدار المفهومة من الفعل (يريد) كأنها ميلٌ نفسيّ نحو السقوط، مما يجعل اللغة قادرة على تصوير المشهد بدقة تضاهي الرؤية البصرية.

وفي السياق الثاني الذي حلله الكرمانى نوع فريد من الإسناد يتمثل في تجريد شخص من النفس، وهو ما يظهر في حديث أم سلمة رضي الله عنها حين قالت: فغطت أم سلمة وجهها. فهذا الإسناد عنده يحمل دلالة الالتفات، حيث انتقلت الراوية من ضمير المتكلم إلى ضمير الغيبة، كأنها جردت من ذاتها شخصاً آخر تتحدث عنه. ويعد هذا الأسلوب عند اللغويين القدامى وسيلةً لتجديد نشاط السامع وتغيير زاوية الرؤية، الأمر الذي فصله الزركشي في كتابه البرهان؛ إذ يمنح الالتفات النصَّ صبغةً موضوعية كأنَّ المتحدث فيه ينظر إلى نفسه من الخارج.³²

والعدول من ضمير المتكلم إلى ضمير الغيبة في حديث أم سلمة نقلةً أسلوبية تعبر عن مسافة تلفظية تداولية (Enunciative Discursive Distance)، وهي إحدى ظواهر نظرية التلّفظ لبينفنيست (ذهبية، 2012م)؛ حيث يعتمد المتكلم إلى فصل ذات التلّفظ (Subject of enunciation) عن ذات الملفوظ

³¹ لايكوف، جورج، وجونسون، مارك، الفلسفة في الجسد: الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي (ترجمة عبد المجيد جحفة)، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2016.

³² الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1957.

(Subject of the utterance)، فيجرد الحدث من سياقه الشخصي الآتي، ويعيد تصويره كواقعة مشهودة تتعدى حدود التجربة الفردية لتصبح نموذجاً سلوكياً وتشريعياً عاماً.

4- دلالة التعدية

4.1 التعدية بالباء لدلالة الاعتراف

وهو تعدي الأفعال بأحرف التعدية المختلفة ومنها فعل آمن فدلالته تختلف باختلاف تعديده مع أحرف التعدية، فإذا تعدى بالباء حمل دلالة الاعتراف قال الكرمانى: (الإيمان) هو مشتق من الأمن وآمنه إذا صدقه وحقيقته آمنه التكذيب وقد يستعمل باللام نحو (وما أنت بمؤمن لنا) وقد يعدى بالباء عند تضمينه معنى الاعتراف نحو (يؤمنون بالغيب) كأنه قال: يؤمنون معترفين بالغيب.³³

4.2 التعدية بفي لدلالة الاستقرار

ففي حديث أنسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْدَفَ فِي النَّارِ). فقد عدَّى الفعل (يعود) بالحرف (في) وليس ب(إلى)، فقال الكرمانى معلقاً على هذه التعدية: قوله (يعود في الكفر) فإن قلت: المشهور عاد إليه مُعَدَّى بكلمة الانتهاء لا بآلة الظرف قلت: قد ضمن فيه معنى الاستقرار كأنه قال يعود مستقراً فيه.³⁴ وقَصَدَ بكلمة الانتهاء حرف الجر (إلى) وبآلة الظرف حرف الجر (في) فدلالة التعدية ب(في) العودة مع الاستقرار والاطمئنان بعد العودة، لكن حرف التعدية (إلى) فيه دلالة مجرد العودة.

إن ظاهرة التعدية وتناوب حروف الجر في شرح الكرمانى وجهاً من وجوه التضمين النحوي الذي يمنح الأفعال دلالات تتجاوز معناها الأصلي، ففي تحليله لتعدية فعل (آمن) بالباء في قوله تعالى (يؤمنون بالغيب) يحلّل دلالة الاعتراف؛ فتعدية الفعل باللام في (آمن له) تفيد مجرد التصديق والقبول، بينما التعدية بالباء تفيد ذوبان

³³ الكرمانى، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 70/1.

³⁴ الكرمانى، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 100/1.

المصَدِّق في المصَدَّق به مع الإقرار والاعتراف القلبي الجازم. فقد جاء في حاشية السيد الجرجاني على الكشف أن التضمنين هو أن تقصد بلفظ فعل معناه الحقيقي ويلاحظ معه معنى فعل آخر يناسبه، ويدل عليه بذكر شيء من متعلقاته، كقوله (أحمد إليك فلانا) لاحظت فيه مع الحمد معنى الإنهاء، ودلت عليه بذكر صلته، أعني (إلى) أي أنهي حمده إليك.³⁵ فإذا عُدي الفعل بحرف غير حرفه الأصلي، فإنه يشرب معنى فعل آخر يناسب ذلك الحرف؛ ففعل آمن هنا أشرب معنى (اعترف) أو (أقر)، فرفعه من درجة الإيمان من مجرد التصديق اللساني إلى مرتبة اليقين القلبي.

وفي نظرية نحو الحالة (Case Grammar) والأدوار الدلالية (Thematic Roles) في فضاء علم الدلالة المعرفي (Cognitive Semantics) يعمل اختيار حرف الجر الباء بديلاً عن اللام دلاليًا على تعديل طبيعة العلاقة بين الفعل وكلمة الغيب في نفس جملته؛ فينقله من كونه مستقبلاً للخبر أو مُدعناً له (Recipient) إلى موضوع للإقرار والالتزام الباطني العميق (Commitment Theme).³⁶

وتفيدنا مخططات الصور الذهنية (Image Schemas) (ليكوف وجونسون، د.ت) في اللسانيات المعرفية، في تفسير تعدية الفعل يعود بحرف الجر (في) بدلاً من (إلى) في حديث حلاوة الإيمان، فيمنح حرف الجر (في) الحدث ظرفيةً مكانيةً توحى بالانغماس والوقوع الحتمي داخل الشيء، لكن يشير الحرف (إلى) إلى انتهاء الغاية فقط. وهذا يصوّر حيناً ضيقاً يحيط بالمرء إحاطةً تامة، مستبعداً أن يكون وجهة فقط، بل مخططاً للوعاء المغلق (Container Schema)؛ الذي يستقر فيه العائد محاصراً ومحتبساً؛ ينفر المؤمن من الارتداد عبر تصوير الكفر فعلاً مستقراً في الهلاك.

4.3 دلالة تعريف المبتدأ والخبر

³⁵ السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، الأردن: دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، 2000، 12/3.

³⁶ عبد الجبار، ساملي، وشمام، نسيم، الكلمة النواة في نظرية الحالات، مجلة الآداب واللغات (جامعة الجزائر 2)، مج9، ع1، 2014، ص:

ففي حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ الْبِقَاعِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ). عرّف بالإضافة كلا من المبتدأ (آية الإيمان) والخبر (حب الأنصار) واكتسب التركيب من هذا التعريف لطرفي الجملة الاسمية دلالة الحصر واحتمال حصر كل منهما في الآخر. قال الكرمانى: فإن قلت هل يستفاد الحصر من هذا التركيب. قلت أكثر أهل المعاني على أن المبتدأ والخبر إذا كانا معرفتين ربما يفيد الحصر حسب ما يقتضيه المقام. فإن قلت إذا كان للحصر فهل يحصر المبتدأ على الخبر أو العكس قلت كلاهما نحو الضاحك الكاتب فإن معناه حصر الضحك على الكاتب والعكس.³⁷

ومن دلالة الحصر المستفادة من تعريف طرفي الجملة الاسمية تعريف كل من المبتدأ والخبر (إخوانكم) و (خولكم) في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (يَا أَبَا دَرٍّ، أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوْلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ...) حيث حصر الخول في الإخوة. قال الكرمانى: وقال بعض علماء المعاني المبتدأ والخبر إذا كانا معرفتين أي تعريف كان يفيد التركيب الحصر. واحتمال حصر كل منهما في الآخر أي حصر الخول في الأخوة أو حصر الأخوة في الخول تضاف أيضاً لدلالة الاهتمام المستفادة من تقديم الأخوة.³⁸

إنّ تعريف طرفي الجملة الاسمية قضية تركيبية يُستنبط منها دلالة الحصر والقصر؛ فتعريف المبتدأ والخبر في قوله: (آية الإيمان حب الأنصار) يُخرج الجملة من الإخبار إلى حصر العلاقة بينهما؛ حيث يذهب السكاكي (1987) إلى أنّ تعريف المبتدأ والخبر يقتضي قصراً، سواء كان قصر صفة على موصوف أو العكس. كما يذهب الزمخشري (1987م) إلى أنه يُفيد المبالغة والكمال، فكأنّ حب الأنصار هو العلامة الوحيدة الكاملة للإيمان، وكأنّ الإيمان لا علامة له أظهر من هذا الحب، وهو ما وصفه الكرمانى باحتمال حصر كل منهما في الآخر، مُستشهداً بمثال الضاحك الكاتب لبيان التلازم الحصري الذي ينشأ من التعريف.

³⁷ الكرمانى، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 130/1.

³⁸ الكرمانى، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 139/1.

كما يفيد التعريف لطرفي الجملة الإسمية في قوله: (إخوانكم خولكم) حصر الخول أي الخدم في دائرة الأخوة؛ لافتا النظر إلى الحقوق الإنسانية ورفع شأن الخدم بوضعهم في مرتبة الأخوة حصراً، مما ينفي عنهم صفة الاستعباد المهين.

ولهذا الحصر بُعدٌ تداوليٌّ يُعرف في اللسانيات الوظيفية بالاستلزام الحصري (Exclusive Implicature)؛ إذ يمنع تعريف الجزأين أيّ تسريبٍ دلالي خارج حدود المنطوق، ويحصر ذهن المتلقي في علاقة تبادلية حتمية بين حب الأنصار والإيمان؛ حيث تفضي هذه العلاقة إلى تبئير شامل (Total Focusing)، يستقر فيه المعنى داخل حدود البنية المُعرّفة؛ لضمان وصول الرسالة النبوية في أعلى مستويات التأكيد الذي لا يحتمل الشك.³⁹

5- دلالة الحذف

5.1 حذف التخصيص لدلالة العموم والاستغراق

ففي حديث السيدة عائشة قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَرَهُمْ أَمَرَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ بِمَا يُطِيقُونَ، قَالُوا إِنَّا لَسَنَّا كَهَيْئَتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ. فَيَغْضِبُ حَتَّى يُعْرِفَ الْعُضْبُ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ يَقُولُ: (إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا). فلم يخص رسول الله صلى الله عليه وسلم التقوى ولا العلم وأطلقهما، وهو ما عنونته حذف التخصيص. وفيه يقول الكرمانى: ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جامعا لأنواع التقوى حاويا لأقسام العلوم ما خصص التقوى ولا العلم، وأطلق. وهذا قريب مما قال علماء المعاني: قد يقصد بالحذف إفادة العموم والاستغراق، ويعلم منه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أنه أفضل من كل واحد، وأكرم عند الله وأكمل؛ لأن مال الإنسان منحصر في الحكمتين العلمية والعملية، وهو الذي بلغ الدرجة العليا والمرتبة القصوى منهما، يجوز أن يكون أفضل وأكرم وأكمل من الجميع أيضا حيث قال أتقاكم وأعلمكم خطابا للجميع صلى الله عليه وسلم.⁴⁰ فالإطلاق يعطى للتقوى والعلم دلالة العموم بمعنى أنه صلى

³⁹ المتوكل، أحمد، الوظيفة والبنية: مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، الرباط: منشورات عكاظ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس، 1993.

⁴⁰ الكرمانى، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 111/1-113.

الله عليه وسلم أتقى من الجميع وأعلم، كما يعطى دلالة الاستغراق في التقوى والعلم أيضا فهو أتقى في كل شيء وأعلم في كل شيء.

5.2 حذف العطف لدلالة التعليل

عن أبي هريرة قال: إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَلَوْلَا آيَتَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُ حَدِيثًا، ثُمَّ يَنْتَلُو (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ) إِلَى قَوْلِهِ (الرَّحِيمِ) إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفَقُ بِالْأَسْوَاقِ...) فترك العاطف (الواو) في قوله (إن إخواننا المهاجرين) وترك العطف هنا جعله استئنافا يحمل دلالة التعليل لما سأله الناس عنه من الإكثار في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال الكرماني: قوله (إن إخواننا) فإن قلت لم ترك العاطف ولم يقل (وإن). قلت: لأنه استئناف كالتعليل للإكثار، كأن سائلا سأل: لم كان مكثرا دون غيره من الصحابة، فأجاب بقوله: لأن إخواننا كذا وكذا.⁴¹

5.3 حذف المفعول الثاني لدلالة المبالغة

ففي حديث سعد رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَى رَهْطًا، وَسَعْدُ جَالِسٌ، فَتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا هُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ... فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي، وَعَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: (يَا سَعْدُ، إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ، وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ...) ففي فعل أعطى حذف المفعول الثاني وهو المادة المعطاة وهذا الحذف له دلالة المبالغة بعد دلالة العموم في الإعطاء، ومعناها في سياق الحديث أن ما تروونه مبالغة في الإعطاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس دليلا على حب لمن أعطى وبغض لمن لم يعط له، فرما يكون غير المعطى أحب إلى رسول الله من الذي أعطاه. قال الكرماني: والمفعول الثاني من باب أعطيت محذوف والحذف إما للتعميم أي أعطيت أي شيء كان أو يجعل المتعدي إلى اثنين كالمتعدي إلى واحد أي أوجد هذه الحقيقة يعني إعطاء الرجل والفائدة فيهما المبالغة.⁴²

⁴¹ الكرماني، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 134/2-135.

⁴² الكرماني، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 131/1.

5.4 حذف المفعول لدلالة الإطلاق

في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ). حذف المفعول من الفعل (حدّث) لدلالة عموم المكذوب من القول فهو شامل لكل ما يتحدثون بكون يشبهه العادة. يقول الكرمانى: وأقول وفي كون إذا دليلاً على أنها عادتهم أو أنها تقتضي تكرار الفعل تطويل. الأولى أن يقال حذف المفعول من حدّث ونحوه دليل على العموم أو الإطلاق فكأنه قال إذا حدّث في كل شيء كذب فيه، أو إذا أوجد ماهية التحديث كذب، ولا شك أن مثله منافق في الدين.⁴³

وعند استعراض مواضع تحليل الكرمانى لظاهرة الحذف ندرك أنه قد تحول إلى حضور دلالي مكثف؛ فلا يمكن تفسيره نقصاً في العبارة، بل اتساعاً في المعنى، بناءً على قاعدة بلاغية رصينة مفادها أن حذف المتعلق يفيد العموم. كما في ظاهرة حذف المفعول أو المتعلق، مثل حديث (أتقاكم وأعلمكم)، وحديث (إني لأعطي)، وحديث (إذا حدث كذب)، فالحذف في هذه المواضع يرفع الحواجز عن المعنى.

والمقصود بالحذف في تلك المواضع التي ساقها الكرمانى هو ترك الذكر ليكون أبلغ من الذكر ذاته؛ فعند حذف المفعول به، يتسع أثر الفعل عن الشيء الواقع عليه الذي هو المفعول به، ليشمل كوناً أرحب هو السّجّية أو الحقيقة المطلقة. حيث كأن لا قصد إلى مفعول، وكأنّ الفعل قد أُجْهِمَ أمره فلم يُقْصَدَ به قصد شيء يقع عليه، كما يكون إذا قلت: قد ملّ فلان، تريد أن تقول: قد دخله الملّال، من غير أن تُحْصَ شيئاً، بل لا تريد على أن تُجْعَلَ الملّال من صفته، وكما تقول: هذا بيتٌ يُدْفَى ويظلُّ، تُريد أنه بهذه الصفة.⁴⁴

وعند تأملنا في نظريتي الإشباع الدلالي (Semantic Saturation) والاستلزام الحوارى (Conversational Implicature)؛⁴⁵ نستطيع استنتاج النص النبوي حين يخرق المتكلم قاعدة الكَمِّ بإعطاء معلومات أقل من المتوقع مستخدماً آلية الحذف الذي يدفع المتلقي عقلياً إلى ملء الفراغ التركيبي بأقصى قدر ممكن من الاحتمالات؛ سعيّاً للإثراء الدلالي (Semantic Enrichment)؛ فحذف المفعول في

⁴³ الكرمانى، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 147/1-148.

⁴⁴ الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، القاهرة، مطبعة المدني، 1992، ج: 1، ص: 159.

⁴⁵ نخلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مصر، دار المعرفة الجامعية، 2002.

سياق الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم: (أتقاكم وأعلمكم)، يُخرج الفعل من تقييده ليَجعله مُسَوِّراً كلياً (Universally Quantified)، حيث يستغرق كل ما يمكن أن يقع عليه الفعل في الواقع الخارجي؛ ليؤكد تداولياً أنَّ علمه محيط بكل ما يُعلم، وتقواه مستغرقة لكل ما يُتَّقَى، معرجا بالدلالة نحو الكمال الذي رصده الكرمانى في شرحه على الحديث.

وفي تعليق الكرمانى على قول أبي هريرة (إنَّ إخواننا...)، تجلّى كمال الاتصال كما عرف عند البلاغيين القدامى؛ حيث تكون الجملة الثانية بمثابة الجواب عن سؤال اقتضته الجملة الأولى. فيرى السكاكي (1987) أنَّ ترك العاطف هنا يربط المعاني برباط العقل لا برباط الحرف، ومن ثم يجعل التعليل ينساب تلقائياً في ذهن السامع كأنه نتيجة حتمية للمقدمة.

6- التخصيص بالعدد لدلالة غير دلالة الزيادة أو النقصان

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا...) فدلالة العدد في الحديث لا تعنى زيادة في صفة النفاق أو نقصا منها وهذا المفهوم من قول النبي - صلى الله عليه وسلم- في الحديث (أَوْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ) فبتحقيق واحدة من الصفات يتحقق النفاق وهذا معنى قول الكرمانى تعليقا على دلالة العدد: وأقول الأولى أن يقال التخصيص بالعدد لا يدل على الزائد وعلى الناقص.

وقد أرساه مبدأً يجمع تأويلات الشراح على مسألة العدد ودلالته في هذا الحديث حيث يرى الطيبي أن علامات النفاق كثيرة وذكرها وحذفها أو ذكر أكثرها متوزع بين الأحاديث فليس بالضرورة ذكرها كلها في حديث واحد فقال: لا منافاة لأن الشيء الواحد قد يكون له علامات فتارة يذكر بعضها وأخرى جميعها أو أكثرها.⁴⁶

كما يرى النووي أيضا أن علامة تحقيق صفة النفاق ربما تكون شيئا واحدا، وربما تكون عدة أشياء مجتمعة فقال: ولا منافاة بين الروايتين من ثلاث خصال كما في الحديث الأول أو أربع خصال كما في هذا الحديث؛ لأن

⁴⁶ الكرمانى، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 151/1.

الشيء الواحد قد يكون له علامات كل واحدة منها يحصل بها صفته ثم قد تكون تلك العلامة شيئاً واحداً وقد تكون أشياء؛ فنرى تفسير الكرماني جامع لهذه التفسيرات جميعاً تحت مبدأ أن العدد ليس دليلاً على زيادة أو على نقصان في الصفة.

ومعالجة الكرماني لدلالة العدد في الحديث النبوي تتجاوز المنطق الرياضي الحسابي إلى المنطق الدلالي الوظيفي؛ فقد أخرج من باب الحصر إلى باب التنبيه والتمثيل، وهو ما لم يخرج عما نقله الزركشي في البحر المحيط، أن قصر الحكم على العدد لا يدل على نفيه عما زاد أو نقص إلا بدليل.⁴⁷ وقد أشار النووي (ت 676هـ) إلى طرف من هذا في كتاب المنهاج في شرح صحيح مسلم، مؤكداً أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قد يذكر في وقتٍ ثلاثاً وفي وقتٍ أربعاً بحسب مقتضى حال السامعين أو بحسب ما أُوحي إليه في حينها، ولا تعارض بينها لأنَّ المقصود هو التحذير من هذه الخصال جملةً وتفصيلاً.⁴⁸

والمتكلم، وفقاً لقاعدة الكم (Maxim of Quantity)، يقدم من المعلومات ما يفي بالغرض التواصلية. فعند تخصيص العدد أربعة فهو لا يخصص من أجل الإحصاء الرياضي، بل التبئير الدلالي (Semantic Focusing) على أخطر هذه الخصال وأكثرها شيوعاً في بيئة المخاطب؛ حيث يستعمل أداة تنبيهية (Signaling Device) لجذب انتباه المستمع، لا حداً منطقياً (Logical Bound) يقيد المعنى حرفياً. فهو مثلاً على التضمنين الحوارية (Conversational Implicature) عند غرايس، حيث يُخالف المتكلم قاعدة الكم بشكل متعمد (Flouting) لإحداث معنى ضمني.⁴⁹

7- الاستثناء المنقطع لدلالة عدم الوجوب مطلقاً

في حديث أبي سُهَيْلِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ يَقُولُ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، نَائِزُ الرَّاسِ، يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ، وَلَا يُفْقَهُ مَا يَقُولُ حَتَّى دَنَا، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنْ

⁴⁷ الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البحر المحيط في أصول الفقه، القاهرة: دار الكتي، ط1، 1994، 172/5.

⁴⁸ النووي، محيي الدين يحيى بن شرف، صحيح مسلم بشرح النووي، القاهرة، مؤسسة قرطبة، ط2، 1994.

⁴⁹ Grice, H. P., Logic and conversation, Academic Press, 1975.

الإِسْلَام، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ). فَقَالَ هَلْ عَلَى غَيْرِهَا؟ قَالَ: (لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ). قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَصِيَامُ رَمَضَانَ). قَالَ هَلْ عَلَى غَيْرِهِ؟ قَالَ: (لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ).

فاختلف الفقهاء في حكم التطوع المستنبط من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للرجل: (لا، إلا أن تطوع) تبعاً لاختلافهم في تحديد نوع الاستثناء فيه فمن قال بوجوب التطوع بالشروع فيه بنى على كون الاستثناء استثناء تاماً، وعليه فالمستثنى (التطوع) جزء من المستثنى منه (الواجب) فيكون ما بعد إلا داخلاً في الوجوب فقالوا بوجوبه إذا شرع فيه.

ومن اختار عدم الوجوب مطلقاً بنى على كون الاستثناء منقطعاً، قياساً على قول الله تعالى: (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) ومعناه أنه لا يذوق الموت أبداً لأن الاستثناء منقطع فالمستثنى ليس من جنس المستثنى منه وهذا اختيار الطيبي، كما نقل عنه الكرمانى في شرحه.⁵⁰

والاستثناء المنقطع هو ما كان فيه المستثنى من غير جنس المستثنى منه. فالمستثنى منه المقدر هو الواجبات أي لا واجب عليك غيرها، والمستثنى هو التطوع. ولكون التطوع ليس من جنس الواجب، صار الاستثناء منقطعاً بمعنى لکن. وهذا التوجيه يؤدي إلى عدم الوجوب مطلقاً؛ أي أن المتطوع لا يلزمه إتمام التطوع إذا شرع فيه، لأنه خرج من دائرة الإيجاب تماماً. واستدل الكرمانى على ذلك بقوله تعالى: (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى)⁵¹؛ فالموتة الأولى ليست من الموت المذوق في الجنة، مما يعني نفي ذوق الموت في الجنة نفياً مؤبداً ومطلقاً.

ودلالة الاستدراك في الاستثناء المنقطع مستقرة عند اللغويين الأوائل فيرى سيبويه (ت 180هـ) في الكتاب أن الاستثناء المنقطع يكون بمنزلة لکن؛ فإذا قلت: ما رأيت أحداً إلا زيدا، فينصب زيدا على غير رأيت؛ وذلك أنك لم تجعل الآخر بدلاً من الأول، ولكنك جعلته منقطعاً مما عمل في الأول، والدليل على ذلك أنه يجيء على

⁵⁰ الكرمانى، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 181/1.

⁵¹ سورة الدخان، الآية 56.

معنى: ولكن زيدا.⁵² في حين يرى ابن هشام الأنصاري (ت. 761هـ) في مغني اللبيب، أنَّ الاستثناء المنقطع يفيد أنَّ ما بعد (إلا) لم يكن داخلاً في حكم ما قبلها أصلاً، وأنَّ فائدته هي دفع توهم دخول المستثنى في حكم المستثنى منه.⁵³ وهذا يطابق ما ذهب إليه الكرمانى في أنَّ التطوع لا يدخل في حكم الوجوب بأي حال.

أما لسانياً، فالاستثناء المنقطع يُعدُّ أداة لضبط المجال الدلالي (Semantic Domain) عبر ثلاثة مبادئ، الأول: مبدأ الشرط التبايني (Contrastive Condition) في علم الدلالة الرسمي (Formal Semantics)، حيث يضع المتكلم حدًّا للمجموعة الأولى التي تمثلها الواجبات، ثم يبدأ مجموعة جديدة التي يمثلها التطوع، وينشأ انفصال رياضي بين المجموعتين يُثبت عدم الوجوب المطلق للتطوع.⁵⁴

الثاني: مبدأ الاستلزام الرتي (Scalar Implicature) في التداولية (Pragmatics)، حيث يمنع السامع من تعميم النفي على جميع العبادات، لكنه في ذات الوقت يحافظ على التباين الرتي (Scalar Contrast) بين الواجب والنافلة.⁵⁵

الثالث: في المنطق اللغوي، حيث يكون رابطاً منطقياً يفيد المغايرة الكلية في الحكم؛ فيفصل مفهوم التطوع عن الإلزام، فيظل التطوع خارج قيد الوجوب.⁵⁶

8- أسلوب (بينما...إذا) لدلالة المفاجأة

والمفاجأة أو الفجاءة هو الحصول في وقت غير متوقع، وموضعها الأول في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ فَأَنَاحَهُ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ... قال الكرمانى: قوله (بينما) أصله (بين) فاتصلت به

⁵² سيبويه، أبو بشر عمرو، الكتاب، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1988، 2/319.

⁵³ ابن هشام، جمال الدين، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، دمشق، دار الفكر، 1985.

⁵⁴ Keenan, E., & Stavi, J. (1986). A semantic characterization of exceptions. *Linguistics and Philosophy*, 9(3), 281–304

⁵⁵ Grice, H. P., *Logic and conversation*, Academic Press, 1975

⁵⁶ Klein, E., *On the scope of negation*, n.d.

(ما) الزائدة. و(نحن) مبتدأ. و(جلوس) خبره. قال النحاة وبينما وبيننا مشبعة أو متصلة بما الزائدة المزيدة من الظروف الزمانية اللازمة للإضافة إلى الجملة ولكونهما ظرفين يتضمنان معنى المجازاة لا بد لهما من جواب والعامل فيهما الجواب إذا كان مجردا من كلمة المفاجأة وإلا فمعنى المفاجأة.⁵⁷

وقد خلا لفظ الحديث (دخل رجل) من المفاجأة لخلوه من حرف المفاجأة (إذا) وعليه فإن (دخل) هي جواب بينما ولا تحمل دلالة المفاجأة بناء على دلالتها عند الكرماني، إذ يرى أن دلالتها المجازاة في حالة تجردها من (إذا)، وليس المفاجأة كما عند النحاة؛ إذ تُعرف على أنها مكونة من (بين) الظرفية و(ما) الاسمية الدالة على وقت محذوف وهي تدل على المفاجأة.

والموضع الثاني في حديث أَبِي وَقْدٍ اللَّيْثِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ، إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَهَبَ وَاحِدٌ... إذ جاء في لفظ هذا الحديث (بينما) مقرونة بلفظ المفاجأة (إذ) فهي تدل على دخول النفر على الصحابة بالمسجد فجأة دون ترتيب أو توقع قال الكرماني: قوله (بينما هو جالس) فإن قلت تقدم أن بينما أصله (بين) زيدت فيه لفظ (ما) وهو من الظروف التي لزممت إضافتها إلى الجملة فما تلك الجملة هنا؟ قلت (جالس) هو خبر مبتدأ محذوف أي (هو جالس) فهذه هي الجملة، وجاء في بعض الروايات مصرحا بها، والعامل هنا في (بين) معنى المفاجأة المستفادة من لفظه إذ أقبل.⁵⁸

يُفرق الكرماني بين حالتين لهذا الأسلوب بناءً على وجود حرف المفاجأة أو خلوه، فالمقترنة ب(إذا أو إذا) كما في حديث أبي واقد الليثي، تحمل معنى المفاجأة كدلالة صريحة ناتجة عن اقتران الأداة الزمنية بحرف الفجاءة، مما يصور دخول النفر الثلاثة كحدث غير متوقع قطع سكون المجلس.

⁵⁷ الكرماني، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 16/2.

⁵⁸ الكرماني، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 25/2.

أما في حديث أنس (بينما نحن جلوس... دخل رجل)، خلا الجواب من (إذا)؛ فالدلالة ليست المفاجأة، بل المجازاة؛ أي أنّ دخول الرجل وقع كجواب وارتباط زمني للظرف قبله، دون أن يكون حرف المفاجأة هو المحرك الدلالي للتركيب.

ويتفق تحليل الكرمانى مع ما يراه ابن هشام الأنصاري (ت. 761هـ) في مغني اللبيب، أنّ بينا وبينما ظرفا زمان يحتاجان إلى جواب، والغالب أن يكون الجواب مقروناً بـ (إذ) أو (إذا) الفجائية لتأكيد وقوع الحدث فجأة. وأنّ حذف حرف المفاجأة يجعل الفعل نفسه هو الجواب المباشر، مما يقلل من حدة الفجاءة التركيبية.⁵⁹ كما يرى رضي الدين الأستراباذي (ت. 686هـ) أن (بينما وبينما وكلما) رتبت مع جملتيها ترتيب كلمات الشرط مع الشرط والجزاء، لما ذكرت من بيان لزوم مضمون الثانية للأولى لزوم الجزاء للشرط ولهذا أدخل إذا وإذ للمفاجأة في جواب بينا وبينما، ليدلا على اقتران مضمون الأولى بالثاني مفاجأة بلا تراخ فيكون أكد في معنى اللزوم (الأستراباذي، 2000م، 210/2)⁶⁰.

وحالة المفاجأة الناتجة عن إذا الفجائية تُصنّف في النحو العربي التقليدي كأداة للمفاجأة (Surprise Marker)، حيث تختص بالجمال الاسمية ولا تحتاج إلى جواب. أما من منظور اللسانيات المعرفية، فتُعَدّ هذه الظاهرة جزءاً من علاقة الشكل والخلفية (Figure and Ground)، حيث ترسم كلمة (بينما) الخلفية (Ground) وهي حالة الجلوس المستمرة، بينما تمثل (دخل رجل/إذا أقبل) الشكل (Figure) أي الحدث المفاجئ.

ف(إذ) الفجائية تعمل كعلامة مفاجأة (Surprise Marker) تزيد من حدة الانقطاع الزمني، فتعمل على تعزيز التماسك النصي (Textual Cohesion) والربط التبايني (Halliday & Hasan, 2013).

9- التصريح بما لزم ضمنا لدلالة التأكيد

فالنهى لازم ضمنا في الأمر فإذا أمرت بشيء فهذا يشمل النهي عن ضده، لكن جاء في حديث أنس عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: (يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا) التصريح بضد الأمر بعد الأمر، وهذا

⁵⁹ ابن هشام، جمال الدين، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، 1985.

⁶⁰ الأستراباذي، رضي الدين، شرح كافية ابن الحاجب، بنغازي: منشورات جامعة قاريونس، 2000، 210/2.

لدلالة التأكيد. قال الكرمانى: قوله (يسروا) من اليسر نقيض العسر. فإن قلت الأمر بالشئ نهي عن ضده فما الفائدة في (ولا تعيسروا)؟ قلت لا نسلم ذلك، ولو سلمنا فالغرض التصريح بما لزم ضمناً للتأكيد. قال النووي: إنما جمع في الحديث بين الشئ وضده لأنه قد فعلهما في وقتين فلو اقتصر علي يسروا لصدق ذلك على من يسر مرة أو مرات وعسر في معظم الحالات، فإذا قال لا تعيسروا انتفى التعسير في جميع الأحوال.⁶¹

يجيب الكرمانى بوجهين دلاليين، الأول: أنه لا يسلم بأن الأمر بالشئ هو نهي عن ضده بالضرورة من جهة اللفظ. والثاني: على فرض التسليم بالقاعدة، فإن الفائدة هي التصريح بما لزم ضمناً للتأكيد. فالتصريح يرفع الاحتمال ويقوي المعنى في نفس السامع، محولاً الدلالة إلى دلالة مطابقة صريحة. ثم يضيف ملمحاً للنووي - رحمه الله-؛ حيث يرى أن الاكتفاء بـ(يسروا) قد يُفهم منه فعل التيسير في بعض الأوقات دون بعض، أما الجمع بينه وبين (لا تعيسروا) فهو لضمان انتفاء التعسير في جميع الأحوال أي يعمم الحكم زمنياً وحالياً.

وقد اختلف الأصوليون في مسألة هل الأمر بالشئ نهي عن ضده؟ فيرى الآمدي في الإحكام أن النهي عن الضد يُفهم من الأمر دلالة لزوم، لكن التصريح بالنهي بعد الأمر يخرج الكلام مخرج البيان المؤكد لقطع الطريق على المتأولين.⁶²

بينما يرى أبو هلال العسكري (ت 395هـ) في الفروق اللغوية، أن ذكر الشئ وضده في سياق واحد يسمى المطابقة أو التضاد، وفائدته أن الأشياء تتبين بأضداده. فالتيسير تظهر حقيقته الكاملة حين يُقرن بالنهي عن التعسير، مما يمنع الخلط بين التيسير المشروع والتهاون.⁶³

ويعد ذكر النهي عن الشئ بعد الأمر به تكراراً دلالياً يعزز القوة الإنجازية؛ فالوفرة في الكلام ليست حشواً إذا كان الغرض منها تقليل الضجيج (Noise reduction) في قناة الاتصال، حيث إن التصريح بالنهي بعد الأمر يقلل من احتمالات سوء الفهم ويضمن وصول الرسالة بكامل قوتها الإنجازية (Illocutionary force).

⁶¹ الكرمانى، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 34/2.

⁶² الآمدي، سيف الدين أبو الحسن علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، دمشق - بيروت، المكتب الإسلامي، ط2، 1402هـ.

⁶³ العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، الفروق اللغوية، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط2، 1980.

والمتكلم حين يقدم معلومات تبدو زائدة مثل التصريح بالنهاي وهو معلوم ضمناً، فإنه يهدف إلى خلق استلزام تداولي يفيد المبالغة في الحذر والتحذير. وهو ما يطابق قول النووي باستغراق الأحوال؛ أي أن القصد هو الشمولية المطلقة. كما أن النفي في (لا تعسروا) يستخدم لترسيم حدود المجال الدلالي للأمر. فبدون النهي، قد يتوسع الشخص في التيسير حتى يصل للتفسير في مواضع أخرى، لكن النهي يضع سوراً حول السلوك المطلوب.

10- دلالة الحصر بـ (إنما) وحذف المفعول لبيان الحقيقة

في حديث معاوية يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) يقول الكرمانى: قلت الحصر بإنما دائماً هو في الجزء الأخير، فيكون معناه ما أنا قاسم إلا في حال أعطاه الله لا في حال غيره، وأما فائدة حذف مفعول يعطي فهو جعله كالفعل اللازم إعلالاً بأن المقصود منه بيان إيجاد هذه الحقيقة أي حقيقة الإعطاء لا بيان المفعول أي المعطي.⁶⁴

في قوله صلى الله عليه وسلم (والله يعطي)، يقف الكرمانى عند حذف مفعول (يعطي) (أي: يعطي الناس المال)، ويرى أن فائدة الحذف جعل الفعل كالفعل اللازم، والهدف من ذلك هو الإعلال بأن المقصود هو بيان إيجاد حقيقة الإعطاء، لا بيان من هو المعطي أو ما هو الشيء المعطى. فالله هو المعطي على الإطلاق، وهذا الحذف يمنح الفعل شمولاً وعموماً لا يحده مفعول معين.

فحذف المفعول به يُراد به أحياناً نفي الاعتداد بالمفعول، والتركيز على وقوع الفعل. والفعل المتعدي إذا أُريد به مجرد إثبات المعنى للفاعل نُزل منزلة اللازم، الأمر الذي أراد الكرمانى أن يركز عليه في بيان حقيقة الإعطاء. وفي هذا يقول الجرجاني في دلائل الإعجاز: كما أنك إذا قلت: مالك تمنع أخاك؟ كنت منكراً المنع، لا من حيث هو منع، بل من حيث هو منع أخ، فاعرفه تعلم أنك لم تجد لحذف المفعول في هذا النحو من الروعة والحسن ما وجدت، إلا لأن في حذفه وترك ذكره فائدة جلية، وأن الغرض لا يصح إلا على تركه.⁶⁵

⁶⁴ الكرمانى، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 37/2.

⁶⁵ الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص110.

والحصر بـ (إنما) يفيد تأكيد الحكم وتحقيقه في المحصور فيه، وحذف المفعول يفيد التعميم بقريئة المقام، أو الاختصار لقصد التعظيم.⁶⁶

تعمل الأدوات التي تقوم بوظيفة الحصر في اللسانيات المعاصرة تعمل على تبئير الخبر (Predicate Focus) فالحصر يوجه ذهن السامع إلى كلمة (قاسم) بوصفها المعلومة الأساسية التي تنفي أي صفة أخرى غيرها في مقام الحديث.

ووظيفيا فإن حذف المفعول به هو عملية تخفيض رتبة المفعول به لصالح رتبة الفعل نفسه؛ فعندما يُحذف المفعول، ينتقل الفعل من كونه حدثاً موجهاً لشخص إلى كونه صفة مطلقة للفاعل (Property of the Subject). وهذا ما عناه الكرمانى ببيان حقيقة الإعطاء؛ حيث أصبح الإعطاء صفة لازمة لله تعالى لا تقيدها متعلقات.

11- إسناد الفعل إلى جارحته لدلالة التأكيد

والجارحة العضو الذي يكون معدن الفعل وأداته ومثال ذلك حديث أبي هريرة قال: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدَ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلُ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ. أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ).

ففي الحديث قد أسند الإخلاص إلى جارحته الذي هو القلب، ومعلوم أن الإخلاص لا يكون إلا من القلب وليس من أي جارحة أخرى، ودلالة هذا الإسناد هي التأكيد. قال الكرمانى: قلت الأفعال بمعنى الفعيل يعني سعيد الناس كقولهم الناقص والأشج أعدلا بني مروان يعني عادلا بني مروان أو هو بمعناه الحقيقي المشهور في التفضيل بحسب المراتب أي هو أسعد بمن لم يكن في هذه المرتبة من الإخلاص المؤكد البالغ غايته، والدليل على إرادة تأكيده ذكر القلب؛ إذ الإخلاص معدنه القلب ففائدته التأكيد كما في قوله تعالى: (فإنه آثم قلبه)⁶⁷

⁶⁶ السكاكي، يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1987.

⁶⁷ سورة البقرة، الآية: 283.

الكشاف: فإن قلت هلا اقتصر على قوله فإنه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملته هي الآثمة لا القلب وحده. قلت كتمان الشهادة هو أن يضمها ولا يتكلم بها ولما كان آثماً مقترفاً بالقلب أسند إليه لأن إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ ألا تراك تقول إذا أردت التأكيد أبصرته عيني وسمعت أذني.⁶⁸

في هذا العرض يُعلل الكرمانى ذكر القلب بعد خالصاً -رغم أن الإخلاص لا يكون إلا من القلب- بأنه جاء لغرض التأكيد والمبالغة؛ فإسناد الفعل إلى الجارحة التي هي أصله ومعدنه يجعل الكلام أوقع في النفس وأبلغ في التصديق. ناقلاً تأصيل الزمخشري (ت 538هـ) في تفسيره الكشاف، حيث يرى أن إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ في التأكيد، ويضرب مثلاً بقوله تعالى: (فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ)، موضحاً أن كتمان الشهادة فعلٌ قلبي، فإسناد الإثم للقلب تحديداً يزيد من فظاعة الذنب وتوكيد وقوعه. ويشبه ذلك بقول العرب: أبصرته عيني، وسمعت أذني؛ فذكر العين والأذن يرفع احتمال التخيل أو سماع الوشاية.

ويراه عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) في دلائل الإعجاز نوعاً من الإسناد يسمى الإسناد إلى مظهر العيان، والغرض منه نقل الخبر من حيز القول المرسل إلى حيز المشاهدة المحققة، وهو ما يعزز ثقة السامع في صدق القائل.⁶⁹

وربط الفعل بجارحته في اللسانيات من قبيل الاستعارة المجسدة (Embodied Metaphor) فعندما يربط النص بين قيمة مجردة مثل الإخلاص وجارحة مادية مثل القلب، فإنه يمنح المفهوم المجرد واقعية مادية (Physicality) تسهل استيعابها وتصديقها. بالإضافة لذلك فهو من المؤكدات المرجعية التي تعمل لرفع درجة الالتزام بالصدق؛ فالتصريح بالجارحة يعمل مُكثِّفاً دلالياً (Semantic Intensifier) يعزز القوة الإنجازية للخبر. والقلب جزء من الجسد، وذكر الجزء عوضاً عن الكل يُعَدُّ تبخيراً (Focusing) يركز على مركز الفعل؛ مما يمنع تجزئة الصفة ويؤكد استغراقها لأصل المنبع الذي صدرت منه.

12- زيادة شبه الجملة لدلالة التوكيد

جاء في حديث الخضر وموسى: (فَقَالَ مُوسَى أَقْتَلْتُ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ وَهَذَا أَوْكَدُ...) وقد زادت جملة العتاب الثانية بشبه الجملة (لك) لدلالة توكيد العتاب

⁶⁸ الكرمانى، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 94/2.

⁶⁹ الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص 354.

على رفض الوصية قال الكرمانى: (أؤكد) والاستدلال عليه إنما هو بزيادة لك في هذه المرة. الزمخشري: فإن قلت ما معنى زيادة لك. قلت زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية، والوسم بقلة الصبر عند الكثرة الثانية.⁷⁰

ينقل الكرمانى عن سفيان بن عيينة أنَّ الموضوع الثاني أؤكد من الأول، ويُعلل هذا التوكيد بزيادة شبه الجملة (لك)، موضحاً أنَّ فائدتها: زيادة المكافحة بالعتاب أي جعل المواجهة بالعتاب مباشرة وصريحة في وجه المخاطب والتنبية الصارخ على تكرار نسيان الوصية، فزيادة (لك) تخصص الخطاب وتُضيق الخناق على المعاتب لتقصيره في الوفاء بالشرط للمرة الثانية.

وينقل رأي الزمخشري (ت. 538هـ) في الكشف، حيث يرى أنَّ زيادة (لك) في المرة الثانية جاءت لأنَّ الجناية تكررت، فاستحق موسى عليه السلام زيادة في التوبيخ، فالتكرار فيه تشديد للمكافحة وتذكير بالوعد الخاص الذي قطعه على نفسه. فزيادة الفضلات كشبه الجملة في سياق النفي أو العتاب لا تكون لغواً، بل هي زيادة تقوية تفيد أنَّ الخطاب موجه لهذا الشخص بعينه دون غيره، لقطع أي سبيل للاعتذار بالنسيان العام.

بالإضافة لذلك، فإن زيادة مرجع المخاطب في شبه الجملة (لك) تزيد من القوة الإنجازية (Illocutionary Force) للفعل؛ فالأولى كانت خبراً عاماً عن العجز، أما الثانية فهي فعل توبيخ صريح يضع المسؤولية مباشرة على عاتق السامع. كما يُستفاد منها أيضاً التبئير والتركيز (Focusing)؛ فالمرّة الأولى كان التركيز فيها على استحالة الصبر كحقيقة علمية، أما في المرة الثانية، فانتقل التركيز إلى الشخص الذي خالف الوعد، فزيادة شبه الجملة أداة لسانية للتركيز الإخباري لتحويل بؤرة الاهتمام من الحدث إلى المخاطب (Addressee).⁷¹

وزيادة شبه الجملة (لك) ينافي مبدأ الاقتصاد اللغوي في اللسانيات الحديثة؛ فإضافة كلمة كان المعنى يستقيم بدونها يهدف دائماً إلى استلزام تداولي متمثل في نفاذ الصبر من تكرار السؤال، وهو ما وصفه الكرمانى بالمكافحة بالعتاب.

13- استثناء الفعل لدلالة عموم الأحوال

⁷⁰ الكرمانى، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 144/2.

⁷¹ Kiss, K. E. (1998). Identificational focus versus information focus. *Language*, 74(2), 245–

ففي حديث النبي صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (لَا يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ فَيُحْسِنُ وُضوءَهُ، وَيُصَلِّي الصَّلَاةَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ حَتَّى يُصَلِّيَهَا) قد جاء المستثنى بعد إلا فعلا في قوله (إلا غفر) فعلق الكرمانى بقوله: فإن قلت إلا غفر له استثنى، والفعل كيف وقع مستثنى؟ قلت من رجل أي لا يتوضأ رجل إلا رجل غفر له أو من أعم عام الأحوال أي لا يتوضأ رجل في حال إلا في حال المغفرة.⁷² فوقع الفعل مستثنى دل على عموم حال الفعل وهو المغفرة لحال كل من يحسن الوضوء ويصلي.

ومن مواضعه أيضا حديث: (مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ أَرِيتهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي حَتَّى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ...) ⁷³. حيث وقع الفعل (رأيت) مستثنى وعليه علق الكرمانى بقوله: فإن قلت هذا من أي نوع من الاستثناء وكيف وقع للفعل مستثنى. قلت هذا استثناء مفرغ وقال النحاة كل مفرغ متصل ومعناه كل شيء لم أكن أريته من قبل مقامي ههنا رأيت في مقامي هذا، ورأيت في موضع الحال، وتقديره ما من شيء لم أكن أريته كائناً في حال من الأحوال إلا في حال رؤيتي إياه، وجاز وقوع الفعل مستثنى بهذا التأويل.

فيُعد وقوع الفعل موقع المستثنى في أسلوب الاستثناء المفرغ من أدق المسائل التي تتداخل فيها الصناعة النحوية بالتحليل التداولي؛ إذ إنَّ الاستثناء في الأصل يقع على الأسماء، لكنَّ وروده على الأفعال في الحديث النبوي ينقل الدلالة من حصر الأشخاص إلى حصر الأحوال والنتائج، وهو ما يُسميه الكرمانى أعم عام الأحوال.

حيث يرى الكرمانى أنَّ الفعل في هذه السياقات ليس مستثنى بذاته، بل هو في تقدير الحال. فقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يتوضأ رجل... إلا غفر له) معناه الدلالي: لا يقع الوضوء من رجل في حالٍ من الأحوال إلا في حالٍ واحدة هي حال المغفرة. وهذا التقدير (أعم عام الأحوال) يهدف إلى شمولية النتيجة حيث ربط الفعل بالجزء ربطاً حتمياً لا يتخلف في أي ظرف، واستغراق المغفرة لكل أجزاء الزمان التي تلي الوضوء والصلاة، بحيث تصبح المغفرة هي الحالة الوحيدة المستثناة من النفي العام.

⁷² الكرمانى، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 210/1.

⁷³ الكرمانى، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 68/2.

وهذا التوجيه الذي وجهه الكرماني لا يخرج عمّا قرره النحاة، حيث يرون أنّ الاستثناء من الأفعال هو استثناء من الأحوال المقدرة؛ لأنّ الفعل يشتمل على زمان وحدث. فقولك: لا يأكل إلا يشرب، تقديره: لا يأكل في زمانٍ إلا زمان شربه، مما يفيد الملازمة المطلقة بين الفعلين، قال ناظر الجيش (ت778هـ) في شرح التسهيل: وإثما أغنى اقتران الماضي بـ(قد) عن تقدّم فعل، إلّا أنّ اقتترانه بما يقربّه من الحال، فيكون بذلك شبيهاً بالمضارع وإنما كان المضارع مستغنياً عن شرط في وقوعه بعد (إلا) لشبهه بالاسم.⁷⁴

وإذا أردنا تحليل مصطلح عموم الأحوال -الذي أطلقه الكرماني- ضمن اللسانيات الحديثة، فعلينا أن نشير إلى دلالات الأفعال فيها ابتداءً، فالأفعال تشير إلى أحداث (Events)؛ وعليه فإن (إلا) تحصر أنماط الأحداث المقبولة بدلاً من حصر الأشخاص؛ إذ إنها تعمل كأداة حصر للمجال الحدثي (Event Domain Restriction). ومن ثم فإنّ حدث المغفرة هو النمط الوحيد المسموح به بعد حدث الوضوء، وهذا هو التفسير المنطقي لعموم الأحوال.

ووقوع الفعل مستثنى يدل على التبيين الجزائي (Result Focus)؛ حيث يتم تجاوز ذات الرجل للتركيز على الصيرورة أي المغفرة، مما يجعل الوعد النبوي يتجاوز حدود الأشخاص ليشمل كل من يحقق الحالة المطلوبة.

14- النكرة الواقعة في سياق الشرط والنفي لدلالة العموم

أمّا النكرة الواقعة في سياق الشرط فحديث أنس قال: إِنَّهُ لِيَمْنَعُنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ حَدِيثًا كَثِيرًا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ تَعَمَّدَ عَلَى كَذِبٍ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ). قال الكرماني: قوله (كذباً) عام في جميع أنواع الكذب لأن النكرة في سياق الشرط كالنكرة في سياق النفي في إفادة العموم.⁷⁵

والنكرة في سياق النفي كالنكرة في سياق الشرط في دلالة العموم، ففي حديث حمزة بن عبد الله عن أبيه قال: كَانَتْ الْكِلَابُ تَبُولُ وَتُقْبِلُ وَتُدْبِرُ فِي الْمَسْجِدِ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَكُونُوا يَرُشُّونَ شَيْئًا

⁷⁴ ناظر الجيش، محب الدين محمد بن يوسف، تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1428هـ، 2199/5.

⁷⁵ الكرماني، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 114/2.

مِنْ ذَلِكَ). قال الكرمانى: ولفظ شيئاً أيضاً عام لأنه نكرة وقعت في سياق النفي وهذا كله للمبالغة في طهارة سوره إذ في مثل هذه الصورة الغالب أن لعبه يصل إلى بعض أجزاء المسجد فإذا قرر الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك ولم يأمر بغسله قط علم أنه طاهر.⁷⁶

ومن مواضع النكرة في سياق الشرط لدلالة العموم أيضاً كلمة (شيئاً) في حديث (...وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ سَأَلَ عُمَرَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: نَعَمْ، إِذَا حَدَّثَكَ شَيْئاً سَعَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا تَسْأَلُ عَنْهُ غَيْرُهُ). قال الكرمانى: قوله (شيئاً) هو نكرة عام لأن الواقع في سياق الشرط كالواقع في سياق النفي في إفادة العموم وفيه مدح عظيم لسعد.⁷⁷

ورأى الكرمانى في هذه المسألة قريب من رأي صاحب تهذيب الفروق⁷⁸، حيث ذكر أنَّ النكرة إذا وقعت في سياق النفي شملت عموم الأشخاص والأزمان قال: نكرة في سياق النفي فتعم... وولدها اسم جنس أضيف فيعم... وعاما في الزمان أيضاً من جهة أن لا لنفي الاستقبال على جهة العموم؛⁷⁹ ومن ثم فإن الكذب عام في كل أفراد، والرَّشُّ منفي في كل أحواله.

كما ذهب السيوطي (ت 911هـ) إلى أنَّ لفظ شيء لفظ عام يستغرق الصالح له من غير حصر، إذا وقع في سياق نفي، أو نهي، أو شرط، أو امتنان. وهو عام يبقى على عموميه إذا كان في غير الأحكام الفرعية.⁸⁰ وبهذا يصير نصاً في العموم لا يحتمل التخصيص إلا بقريضة، وهو ما يفسر استخدام الكرمانى له كدليل قطعي على الطهارة أو المدح.

والنكرة في سياق النفي تحلل في اللسانيات ضمن ثلاث إطارات محتملة:

76 الكرمانى، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 11/3.

77 الكرمانى، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 51/3.

78 (تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية) للشيخ محمد بن علي بن حسين مفتي المالكية بمكة المكرمة (1367هـ)، وفيها اختصر الفروق ولخصه وهذبته ووضَّح بعض معانيه ووضع في ذيل كتاب الفروق للقراي.

79 القراني، شهاب الدين أحمد بن إدريس، أنوار البروق في أنواء الفروق، بيروت، عالم الكتب، ط 1، 1998، 253/1.

80 السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974.

أولاً: عناصر القطبية السالبة: (Negative Polarity Items – NPIs) فكللمات مثل (شيء) لا تكتسب دلالتها العمومية إلا إذا وقعت في بيئات هابطة دلاليًا (Downward Entailing)، مثل النفي والشرط، حيث تُسمَّى كل الاحتمالات تحت مظلة النفي، وهو ما عناه الأصوليون في مثل هذه الصيغ بالعموم.⁸¹

ثانياً: السّور الكلي (Universal Quantifier) في علم الدلالة الصوري، حيث يغلق المجال الدلالي تماماً حين تعمل النكرة في سياق النفي سورا كلياً منفيًا يؤكد أن النفي لا يقع على فرد من النكرة، بل على الجنس بأكمله.⁸²

ثالثاً: مبدأ الكمية (Maxim of Quantity) في التداولية، حيث تعطي النكرة أكثر معلومة ممكنة (Grice's Maxim of Strength) فبدلاً من نفي رش الماء، نفينا رش شيء، وهذا التعميم يوفر حماية قصوى للحكم الفقهي أو التحذير النبوي.⁸³

15- الانتقال بين الضمائر في التركيب لدلالة التعميم

ومن صور هذا الانتقال أن ينتقل المتحدث من ضمير الغائب إلى ضمير المخاطب كما في حديث البراء أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ - أَوْ قَالَ أَحْوَالِهِ - مِنَ الْأَنْصَارِ، وَأَنَّهُ صَلَّى قَبْلَ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا... قَالَ زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ عَنِ الْبَرَاءِ فِي حَدِيثِهِ هَذَا أَنَّهُ مَاتَ عَلَى الْقَبِيلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ رِجَالٌ وَقُتِلُوا، فَلَمْ نَذِرْ مَا نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ).

ويلاحظ تحول الكلام في عموم الحديث -من أوله إلى قبل الآية الكريمة في آخره- من ضمير الغائب إلى ضمير المخاطب في (إيمانكم) وهذا التحول دلالاته التعميم أي شمول الحكم للمخاطبين والغائبين على حد سواء، فإذا كان الضمير للغائب فقد شمل الغائب فقط دون سواهم. قال الكرمانى: فإن قلت سياق كلام البراء يقتضي أن

⁸¹ Partee, B. H., On the "Scope of Negation" and Polarity Sensitivity, Prague, 1993

⁸² Gamut, J. T. F., Logic, language, and meaning, University of Chicago Press, 1991

⁸³ Grice, H. P., Logic and conversation, Academic Press, 1975

يقال (إيمانهم) بلفظ الغيب. قلت المقصود تعميم الحكم للأمة حياً، وميتاً، حاضراً، وغائباً، فذكر الأحياء المخاطبين تغليلاً لهم على غيرهم.⁸⁴

ففي هذا الحديث حول تحويل القبلة والآية: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ)⁸⁵، انتقل السياق من الحديث عن الأموات في (ماتوا وقُتلوا) إلى مخاطبة الأحياء في (إيمانكم). حيث يرى الكرمانى أن مقتضى الظاهر هو (إيمانهم) للغائبين، لكن العدول إلى (إيمانكم) يهدف إلى تعميم الحكم للأمة حياً وميتاً؛ فقد استُخدم ضمير المخاطب هنا من باب التغليب؛ لشمول الحكم لكل من اتصف بالإيمان، حاضراً كان أو غائباً، ورفعاً لمنزلة المخاطبين بوصفهم ممثلي الأمة.

وهذا الانتقال بين الضمائر في السياق الواحد قد درسه علماء اللغة القدامى في باب الالتفات حيث سماه ابن جني (ت 392هـ) في كتابه الخصائص شجاعة العربية. فالعرب تنتقل من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة طلباً لاتساع اللغة، ولأن الإقبال على السامع بالخطاب بعد الغيبة فيه تنشيط له وتجديد لذهنه (ابن جني، د.ت). فهو لا يقع إلا لفائدة، ومن فوائده في الخطاب هزّ السامع وإشعاره بأنه معنيٌّ بالرسالة مباشرة.

هذا الالتفات يدرس في اللسانيات على أنه انزياح في المركز المرجعي للخطاب؛ فالانتقال من الغائب (He) إلى المتكلم (I) يمثل إعادة تأطير (Reframing) تجعل السامع أقرب لمركز الحدث. ومن هنا ندرك أن الكرمانى كان سابقاً إلى ممارسة نظرية الانزياح الإشاري (Deictic Shift Theory) التي شرحت هذا التأطير.

ثم إن التحول إلى ضمير المخاطبين في السياق له ملمحان مهمان أيضاً، أحدهما: يختص بالتداولية وصناعة الهوية الجماعية (Collective Identity)؛ فانتقال الخطاب من ضمير المتكلم إلى المخاطب فهو في الحقيقة

⁸⁴ الكرمانى، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 166/3.

⁸⁵ سورة البقرة، الآية 143

انتقال من الذاتية إلى الجماعية يشمل الحاضر والغائب تحت مظلة الإيمان، وهو ما يتطابق مع دلالة التعميم عند الكرمانى.

وثانيهما: فالالتفات يعد تغييراً للوقوف (Footings)، حيث يغير المتحدث وقفته تجاه النص ليغير علاقته بالجمهور. فالانتقال للتفنن هو تغيير في الوقفة السردية لجذب الانتباه ومنع الملل الإدراكي.

4.3.25 العدول من زمن إلى زمن لدلالة استحضار صورة الرؤية للسامعين

ففي حديث ابنِ عُمَرَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِقَدَحٍ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرَّيَّ يَخْرُجُ فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ أُعْطِيتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ). قَالُوا فَمَا أَوَّلَتْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (الْعِلْمُ). فقد عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيغة الماضي في أول الحديث إلى صيغة الاستقبال في وسطه في قوله (إني لأرى) قال الكرمانى: فإن قلت حق الظاهر المضى، فما الفائدة في العدول فيه عن الماضي إلى المستقبل؟ قلت فائدته استحضار صورة الرؤية للسامعين قصداً إلى أن يبصرهم تلك الحالة وقوعاً وحدوثاً⁸⁶.

والكرمانى يوجه هذا العدول دلاليا نحو استحضار صورة الرؤية، أي جعل السامع يتخيل المشهد وكأنه يحدث الآن، ويُبصر الصحابة تلك الحالة العجيبة وكأنها تقع وتحدث في لحظة التحدث، وهذا يزيد من هيبة الموقف، وعظمة المعجزة في نفوس السامعين.

وهذا التوجيه قد رسخه قدامى البلاغيين تحت مسمى حكاية الحال؛ فالفعل المضارع يُؤتى به في مكان الماضي لغرض تصوير الفعل وتقريبه من عين السامع، مثل قوله تعالى: (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا) (سورة فاطر، الآية: 35)؛ حيث عدل من الماضي (أرسل) إلى المضارع (تثير) لاستحضار صورة إثارة السحاب العظيمة في الذهن.⁸⁷ كما أن العدول إلى المضارع يمنح الفعل ديمومة واستمراراً في ذهن المتلقي، يجعل الصورة لا تنقضي بانقضاء الفعل، بل تبقى متجددة.⁸⁸

⁸⁶ الكرمانى، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 62/2.

⁸⁷ الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف، 589/4.

⁸⁸ الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1957.

بينما تسلط اللسانيات العرفانية (Cognitive Linguistics) الضوء على هذه الظاهرة من خلال المضارع التاريخي (The Historical Present) والفضاءات الذهنية (Mental Spaces Theory)، حيث يُستخدم المضارع لحدث ماضٍ لكسر المسافة الزمنية بين المتكلم والحدث، عبر التقريب الزمني (Temporal Proximity) ليُسلط الضوء على لحظة حرجية في السرد.

وفي الفضاءات الذهنية، في إطار ما يسمى ببناء الفضاء (Space Builder) يقوم المتكلم ببناء فضاء ذهني يستخدم فيه العدول إلى المضارع في الفعل (أرى) علامة لغوية تأمر السامع بالدخول إلى فضاء الرؤية الآنية، حيث يجعل المعالجة الذهنية للحدث أكثر واقعية.⁸⁹

أما قول الكرمانلي: استحضار الصورة، فنظيره في اللسانيات العرفانية مبدأ الصورة الجدلية (Image Schema) أو التشفير الإنجازي (Enactive Encoding) حيث تُنشط نفس المسارات العصبية التي تشتعل عند الرؤية الفعلية للحدث بواسطة استخدام لغة الحاضر لحدث ماضٍ.⁹⁰

16- الاستفهام ب(ما) لدلالة التعظيم

فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: (إِنِّهُمَا لِيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ). و(ما) في قوله (وما يعذبان) تتأرجح بين تأويلين، الأول: أن تكون ما نافية، وعلى هذا التأويل فكلمة كبير هنا لغوية وليست اصطلاحية، أما التأويل الثاني الذي أشار إليه الكرمانلي هو اعتبار ما استفهامية، وعلى هذا التأويل فإن (ما يعذبان) استفهام اعتراض لغرض التعظيم، والتأكيد على عظم عدم الاستتار من البول والنميمة. وكلمة (في كبير) متعلق بالفعل (ليعذبان). قال الكرمانلي: وما يعذبان هو جملة معترضة و(ما) على هذا التقدير استفهامية ذكر هنا تعظيماً وتأكيداً للتعذيب

⁸⁹ الذويبي، لطفي، قدرة نظرية الفضاءات الذهنية على تأويل الأبنية اللغوية، مجلة العلامة، ع3، 2016، ص: 11-27.

⁹⁰ لايكوف، جورج، وجونسون، مارك، الفلسفة في الجسد: الذهن المتجسد وتحديد الفكر، ط1، 2016.

وأما أنه اختصار للحديث وترك لما هو ليس مقصوداً في هذا الباب بخلاف الباب السابق فإن المقصود فيه بيان كونه من الكبائر.⁹¹

وتوجيه الإمام الكرمانى لـ(ما) في هذا الحديث من أدق الالتفاتات التي ترفع اللبس عن ظاهر النص؛ فبينما يذهب التفسير الأول النافي إلى أنَّ الذنب يسير في عُرف الناس، يذهب توجيه الكرمانى الاستفهامي إلى أنَّ الذنب عظيم في ميزان الشريعة، فيحوّل الجملة من وصف للواقع إلى صرخة تحذير وتفجيع. فيرى أنَّ (ما) قد تكون استفهامية، والجملة معترضة. والتقدير هو (وأيُّ شيءٍ كبيرٍ يعذبان فيه؟) وهذا الاستفهام غرضه التعظيم والتهويل من شأن هذين الذنبتين، النميمة وعدم الاستتار من البول.

وخروج الاستفهام عن مقتضاه الظاهر مستساغ ومشهور في لغة العرب، فقد يخرج إلى التعظيم أو التهويل، مثل قوله تعالى: (الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ)⁹². والغرض من ذلك هو تنبيه السامع إلى أنَّ المذكور ليس من المؤلفات التي يُستهان بها، بل هو أمرٌ جاوز الحد في العظم أو القبح.⁹³

والاستفهام الخارج عن مقتضى ظاهره يعمل دلالياً في اللسانيات التداولية في مسارات ثلاث:

الأول: في مسار الأفعال الكلامية، حيث يعمل الاستفهام الإنكاري (Negating Interrogative) (الثبتي، 2025م) فعلاً كلامياً غير مباشر (Indirect Speech Act)، لا يطلب معلومة، بل يؤدي وظيفة التأكيد القوي (Strong Assertion) لتحفيز ذهن السامع على تخيل مدى ضخامة الجرم.

الثاني: في مسار التداولية، حيث يكون الاستفهام التحذيري (Warning Interrogative) (الكعي، 2023) قوةً إنجازيةً (Illocutionary Force) لزيادة قوة التحذير؛ فالسؤال يترك فجوة دلالية يملؤها السامع بمشاعر الرهبة، فيجعل الرسالة أقوى تأثيراً من الخبر المجرد.

⁹¹ الكرمانى، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 69/3.

⁹² سورة الحاقة، الآية 1-2.

⁹³ الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف، 589/4.

الثالث: في مسار الدلالات السياقية، فيؤدي وظيفة إعادة التصنيف الدلالي (Semantic Re-categorization) لإعادة تصنيف الذنب من صغير إلى كبير مهول.⁹⁴

17- الطرد والعكس لدلالة التقرير

فطريقة الطرد والعكس هي الأمر بالشيء ثم النهي عن ضده أو ذكر الشيء ثم نفي ضده، ومن هذا ما جاء في حديث أبي هريرة قال قال أعرابي فبال في المسجد فتناولته الناس، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (دعوه وهريقوا على بؤله سجلاً من ماء، أو ذئوباً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين). فذكرهم أنهم ميسرين ثم نفى عنهم التعسير؛ لدلالة تقرير الصفة وتأكيدها. يقول الكرمانى: وذكر (ولم تبعثوا معسرين) على طريقة الطرد والعكس تقريراً بعد تقرير ودلالة على أن الأمر مبني على اليسر قطعاً.⁹⁵

فالطرد والعكس في البلاغة النبوية من أقوى وسائل التقرير الذهني؛ حيث يعتمد النص إلى إثبات الصفة أولاً، ثم نفي ضدها ثانياً، بالشكل الذي يؤدي إلى إغلاق المجال الدلالي تماماً أمام أي تأويل أو احتمال، ويجعل الحكم مستقراً استقراراً قاطعاً.

فروية الكرمانى أن ذكر (ولم تبعثوا معسرين) بعد قوله (بعثتم ميسرين) ليس مجرد تكرار، بل هو تقرير بعد تقرير تأكيداً للحقيقة الأولى عبر نفي نقيضها. ودلالة قطعية على أن أصل الشريعة ومبناها هو اليسر، وأن أي مسلك يؤدي إلى التعسير هو خروج عن مقتضى البعثة النبوية.

وفي التداولية (Pragmatics)، يُعتبر نفي النقيض في قوله (ولم تبعثوا معسرين) وسيلة لإغلاق المجال الدلالي (Domain Closure) أمام أي استثناء؛ فالمتكلم يضمن للسامع أن اليسر لازم لا محالة؛ فلو قال ميسرين

⁹⁴ طيبي، أحمد، ومجاشي، علجة، دراسة تداولية لترجمة أسلوب الاستفهام في آيات الأحكام، مجلة الدراسات اللغوية، مج31، ع1، 2025، ص: 442-461.

⁹⁵ الكرمانى، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 71/3.

فقط، لظنَّ البعض أن هناك حالات يُشرع فيها التعسير، لكن نفي التعسير مطلقاً يغلق هذا الاحتمال، وهو ما يُصنّف في البلاغة العربية بالنفي الضمني، وفي التداولية بالنفي التبايني (Contrastive Negation).⁹⁶

18- دلالة الإضافة

18.1 إضافة أفعال التفضيل للنكرة لدلالة المبالغة

في حديث عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَاصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَى جَزُورٍ بَنَى فُلَانٍ فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ فَأَنْبَعَثَ أَشَقَى الْقَوْمِ فَجَاءَ بِهِ...)

ففي تعليق الكرمانى على إضافة القوم وهي معرفة لأفعال التفضيل أشقى قال: (وأشقى القوم) هو عقبة ابن أبي معيط وفي بعضها (أشقى قوم) هو خلاف لأصل؛ إذ الواجب عند أفعال التفضيل عند مفارقة من التعريف باللام أو بالإضافة، فإن قلت هل فرق في المعنى بين إضافته إلى المعرفة والنكرة؟ قلت الفرق بالتعريف والتخصيص ظاهر، وأيضا النكرة لها شيوع فيكون معناه أشقى قوم أي قوم كان من الأقوام، يعني أشقى كل قوم من أقوام الدنيا ففيه مبالغة ليست في المعرفة.⁹⁷ فأفاد لفظ الحديث -أي إضافة المعرفة إلى أفعال التفضيل- دلالة التخصيص يعني قد قام بهذا الإيذاء للنبي أشقى إنسان في القوم. وفي روايات أخرى أضاف النكرة إلى أفعال التفضيل وقد أفادت تلك الروايات دلالة المبالغة في الشقاء بحيث أصبح من قام بهذا الإيذاء هو أشقى كل قوم.

18.2 دلالة الأحد المضاف على العموم

ففي حديث عائشة -رضي الله عنها- قَالَتْ كُنَّا إِذَا أَصَابَتْ إِحْدَانَا جَنَابَةٌ، أَخَذَتْ بِيَدَيْهَا ثَلَاثًا فَوْقَ رَأْسِهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ بِيَدِهَا عَلَى شِقِّهَا الْأَيْمَنِ، وَيَبْدِهَا الْأُخْرَى عَلَى شِقِّهَا الْأَيْسَرِ. قال الكرمانى في تعليقه على لفظ (إحدانا): فإن قلت هذا الحكم يصدق عند فعل واحدة منهن فقط إذ لفظ إحدانا لا يدل على العموم وعلى عمل العموم، بل يدل على عدمها. قلت المفرد المضاف يفيد العموم مع أن بعض العلماء قالوا بعموم لفظ

⁹⁶ Horn, L. R., A natural history of negation, CSLI Publications, 2001

⁹⁷ الكرمانى، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 96/3.

الأحد والإحدى مطلقاً نفيًا وإثباتاً معرفة ونكرة.⁹⁸ فإضافة إحدانا لضمير الجميع أضفى دلالة العموم على الكلمة.

18.3 إضافة العام إلى الخاص لدلالة التخصيص

في عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ... أضيفت كلمة فلق العامة في الدلالة إلى كلمة الصبح الخاصة لتفيد دلالة التخصيص لكلمة فلق. قال الكرمانى: وقيل الفلق الصبح لكنه لما كان مستعملاً في هذا المعنى وفي غيره أضيف إليه التخصيص والبيان إضافة العام إلى الخاص كقوله: عين الشيء ونفسه.⁹⁹

18.4 إضافة المسمى إلى اسمه لدلالة التأكيد

في حديث عبد الله بن عمر قال لَقَدْ ظَهَرْتُ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى ظَهْرِ بَيْتِنَا، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدًا عَلَى لَبَنَتَيْنِ مُسْتَقْبِلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ. وهنا قد أضيفت ذات إلى كلمة يوم وهما ذات دلالة واحدة وهي من باب إضافة المسمى إلى اسمه لدلالة التأكيد. قال الكرمانى: قوله (ذات يوم) أي يوما وهو من باب إضافة المسمى إلى اسمه أي ظهرت في زمان هو مسمى لفظ اليوم وصاحبه ويحتمل أن يكون من باب إضافة العام إلى الخاص أي ظهرت نفس اليوم فيفيد التأكيد إلى اليوم نفسه.¹⁰⁰

19- الإضمار قبل الذكر لدلالة التنويع

جاء في باب كيف تهل الحائض بالحج والعمرة من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها: ... وَكُنَّ نِسَاءً يَبْعَثْنَ إِلَى عَائِشَةَ بِالْدَّرَجَةِ فِيهَا الْكُرْسِيُّ فِيهِ الصُّفْرَةُ فَتَقُولُ لَا تَعْجَلْنَ حَتَّى تَرَيْنَ الْقُصَّةَ الْبَيْضَاءَ). قال الكرمانى في إضمار للاسم قبله في (كن نساء): (كن نساء) بالرفع، فإن قلت علامة الجمع في الإسناد ضعيف، قلت نساء

⁹⁸ الكرمانى، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 139/3.

⁹⁹ الكرمانى، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 31/1.

¹⁰⁰ الكرمانى، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 194/2.

بدل من الضمير وهو نحو (أكلوني البراغيث) وبالنصب فهو منصوب على الاختصاص يعني نساء ويتعين ضميره. فإن قلت فيه إضمار قبل الذكر وذلك ممتنع، قلت مثله يسمى بالضمير المبهم وجوزوا فيه لكن بشرط أن يكون مفسراً بما بعده، فإن قلت ما الفائدة فيذكره وقد علم كونهن نساء من لفظ (كن) قلت لم يعلم إلا من المفسر ثم الفائدة التنويع والتنوين يدل عليه أي كان ذلك من بعضهن.¹⁰¹

يرى الكرمانى أنَّ الإضافة للنكرة تفيد المبالغة المطلقة؛ لأنَّ النكرة تشيع في كل الأجناس، فمعنى (أشقى قوم) أنَّه أشقى من كل الأقوام في الدنيا، بينما الإضافة للمعرف باللام (القوم) تفيد التخصيص هؤلاء الحاضرين فقط. كما يرى في حديث عائشة (أصابني إحدانا جنابة) أنَّ المضاف يفيد العموم؛ أي أنَّ الحكم يشمل كل النساء اللواتي كنَّ معها، فالأحد المضاف يكتسب الاستغراق للجنس.

ويرى أيضاً أن إضافة كلمة (فلق) -وهي عامة في كل انشقاق- إلى (الصبح) -وهو زمن خاص- في حديث (فلق الصبح) لغرض التخصيص والوضوح، وهي من باب إضافة الصفة للموصوف أو إضافة العام للخاص لرفع الاحتمال.

وفي قول السيدة عائشة رضي الله عنها (كُنَّ نِسَاءً)، يوجه الكرمانى دلالة الإضمار قبل ذكر نساء نحو التنويع لأنه ضمير مبهم يفسره ما بعده، أي أنَّ هذا الفعل صدر من بعضهن لا جميعهن، وفي الإبهام ثم التفسير تنشيط للذهن.

و(أشقى قوم) جملة فيها رفع لدرجة الصفة على السلم الدلالي (Semantic Scale)؛ فالإضافة للنكرة تفتح مجال التماثل غير المحدد (Indefinite Comparison Domain) ليكون عالمياً (Universal)، بينما الإضافة للمعرفة تحصره في مجال محدد (Definite/Local Context).

¹⁰¹ الكرمانى، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 190/3.

والإضمار قبل الذكر في نظرية التماسك النصي (Textual Cohesion) يقوم بوظيفة الربط الإحالي (Referential Cohesion) ويُعرف بالإحالة اللاحقة (Cataphoric Reference)، وفائدته التداولية جذب الانتباه، وتأجيل المعلومة لخلق تركيز عالٍ (Focus) على المفسّر.¹⁰²

الخاتمة

في ضوء أهداف البحث ومنهجه توصل الباحث لعدة نتائج منها:

- 1- اهتم الكرمانى في كتابه "الكواكب الدراري" بمفهوم الدلالة التركيبية ونظم الكلمات داخل السياق لإنتاج المعنى، موظفا الحذف، والتكرار، والإسناد، والتعديّة بحروف الجر لغايات تداولية. كما أولى اهتماماً خاصاً بمباحث العموم والخصوص الناشئة عن التركيب الإضافي والنكرة في سياق النفي والشرط، والالتفات بين الضمائر، مستخدماً مبدأ "الطرد والعكس" في تقرير صفات الشريعة وتأكيد مبناها على التيسير.
- 2- اتخذ الكرمانى موقفاً متميزاً تجاه الزمن في التراكيب النبوية، حيث حلل ظاهرة العدول من صيغة الماضي إلى المستقبل (المضارع). واعتبر أن فائدة هذا التركيب تكمن في استحضار صورة الرؤية للسامعين وجعلهم يبصرون الحالة وقوعاً وحدوثاً. وتتجاوز هذه الرؤية التفسيرات النحوية التقليدية لتلتقي مع مفاهيم اللسانيات المعرفية الحديثة مثل "المضارع التاريخي" ونظرية "الفضاءات الذهنية"، حيث يُستخدم العدول لكسر المسافة الزمنية وتقريب الحدث صورياً لتسهيل المعالجة الذهنية وجعلها أكثر واقعية وتأثيراً وجدانياً.
- 3- برز اهتمام الكرمانى بالدلالات الكمية والمنطق داخل التركيب؛ ففي معالجته لدلالة العدد، تجاوز المنطق الحسابي وقرر أن التخصيص بالعدد لا يدل على الزائد أو الناقص، بل هو أداة للتبئير الدلالي والتمثيل وجذب انتباه المخاطب وفق قواعد الكم والتضمن الحواري. وتتطابق تفسيراته للنكرة في سياق النفي والشرط مع نظرية "السور الكلي" وعناصر القطبية السالبة لإفادة العموم واستغراق الجنس لحماية الحكم الفقهي ومنع التهاون.

¹⁰² مصدق، محمد الأمين، وسالم، محمد يزيد، الإحالة في ضوء علم اللغة النصّي، مجلة اللغة العربية، مج 19، ع 3، 2017، ص: 209-230.

4- يظهر اختلاف الكرمانى عن النحاة التقليديين في ميله الواضح نحو التفسير الوظيفي والتداولي على حساب الشكلية المحضة. فبينما انشغل الكثير من الأوائل بتقدير المحذوفات وإقامة الحجج الإعرابية، كان الكرمانى يوجه اهتمامه نحو الوظيفة السياقية والأبعاد النفسية للمتكلم. فهو لا يسعى وراء الصناعة النحوية لذاتها، بل يبحث عما وراء البنية اللغوية من توجيهات تشريعية وعقدية تخدم المقصد التواصلى للحديث النبوي.

5- توصلت نتائج الدراسة أن تحليلات الكرمانى ممارسة مبكرة لمبادئ نظريات لسانية معاصرة، مثل نظرية الأفعال الكلامية ونظرية غرايس، فقد فطن إلى وظيفة التوجيه والتأثير، مفسراً الاستفهام بـ (ما) الخارج عن أصله لإفادة التعظيم والتهويل والتحذير كفعل كلامي غير مباشر، والتصريح بما لزم ضمناً لتعزيز القوة الإنجازية وتقليل الضجيج في قناة الاتصال. وفي "الانزياح الإشاري" ونظرية التلفظ لبينفنيست، حلل الالتفات والانتقال بين الضمائر ووظفهما لتعميم الحكم وصناعة الهوية الجماعية. وفي اللسانيات المعرفية، تتقاطع تحليلاته مع مفاهيم التجسيد ومخططات الصور الذهنية مثل مخطط الوعاء المغلق في الكفر؛ لتصوير المشاهد بدقة.

6- تؤكد نتائج البحث أن الكرمانى جعل من البنية التركيبية مرجعية أساسية لاستنباط الأحكام وفهم علل الشريعة، كاستخدامه الاستثناء المنقطع لإفادة عدم الوجوب مطلقاً، والحصص بـ (إنما)، وحذف المفعول لبيان الحقيقة المطلقة. واستطاع عبر توظيف التماسك النصي، كالربط الإحالي بالإحالة اللاحقة، والتبئير، وعلاقة الشكل والخلفية في أسلوب "بينما... إذا" الفجائي؛ أن يثبت أن بناء الجملة النبوية بناء محكم متكامل فيه الصناعة النحوية والوظيفة التداولية والأصولية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي. (2008). التوضيح لشرح الجامع الصحيح (تحقيق دار الفلاح للبحث العلمي، ط 1). دمشق: دار النوادر.

ابن بطال، علي بن خلف. (2003). شرح صحيح البخارى لابن بطال (ط. 2). الرياض: مكتبة الرشد.

ابن جني، أبو الفتح عثمان. (2008). الخصائص (تحقيق محمد علي النجار، ط. 5). القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة.

ابن هشام الأنصاري، جمال الدين. (1991). مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد). بيروت: المكتبة العصرية.

أبو ضاوي، إبراهيم عبد الحفيظ محمد. (2008). شمس الدين الكرواني وجهوده النحوية والصرفية في شرح صحيح البخاري المسمى بالكواكب الدراري [رسالة دكتوراه]. كلية الآداب، جامعة عين شمس.

أحمد، علاء رمضان عبد الكريم. (2023). الدلالات الاستلزامية للأساليب الإنشائية في الطواسين: دراسة تداولية في ضوء نظرية الاستلزام الحوارية لجرايس.

أوستين، جون. (1991). نظرية أفعال الكلام العامة: كيف ننجز الأشياء بالكلام (ترجمة عبد القادر قيني). الدار البيضاء: دار إفريقيا الشرق.

البخاري، محمد بن إسماعيل. (2001). صحيح البخاري (تحقيق محمد زهير الناصر). بيروت: دار طوق النجاة.

الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. (د.ت). دلائل الإعجاز في علم المعاني (تحقيق ياسين الأيوبي، ط 1). بيروت: المكتبة العصرية.

الحباشة، صابر (محرر). (2019). دراسات في اللسانيات العرفانية: الذهن واللغة والواقع (ط. 1). مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية.

حسان، تمام. (1994). اللغة العربية: معناها ومبناها. القاهرة: عالم الكتب.

الذويبي، لطفي. (2016). قدرة نظرية الفضاءات الذهنية على تأويل الأبنية اللغوية. مجلة العلامة.

رستم، محمد بن زين العابدين. (2001). شمس الدين الكرمانى وشرحه للجامع الصحيح. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، 16(47).

روبول، آن، وموشلار، جاك. (2003). التداولية اليوم: علم جديد في التواصل (ترجمة سيف الدين دغفوش ومحمد الشيباني، ط 1). بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. (1994). البحر المحيط في أصول الفقه (ط. 1). القاهرة: دار الكتي. السكاكي، يوسف بن أبي بكر. (1987). مفتاح العلوم (تعليق نعيم زرزور، ط 2). بيروت: دار الكتب العلمية.

سيبويه، أبو بشر عمرو. (1988). الكتاب (تحقيق عبد السلام هارون). القاهرة: مكتبة الخانجي.

الضاوي، عبد الله. (2025). التبئير في الجملة العربية: تحليل تركيبى دلالي. مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث .

الطبي، كريم. (2021). لسانيات التلفظ وتحليل الخطاب الشعري: دراسة في المشيرات المقامية. مجلة إشكالات في اللغة والأدب

عمر، أحمد مختار. (1998). علم الدلالة (ط. 5). القاهرة: عالم الكتب.

القراي، شهاب الدين. (1986). الاستغناء في أحكام الاستثناء (تحقيق طه محسن). بيروت: دار الكتب العلمية.

الكرمانى، شمس الدين محمد بن يوسف. (1981). الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (ط. 2). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

لايكوف، جورج، وجونسون، مارك. (2016). الفلسفة في الجسد: الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي (ترجمة عبد المجيد جحفة). بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

المتوكل، أحمد. (1985). *الوظائف التداولية في اللغة العربية* (ط 1). الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

المتوكل، أحمد. (1993). *الوظيفة والبنية: مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية*. الرباط: منشورات عكاظ.

يول، جورج. (2010). *التداولية* (ترجمة قصي العتاي). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

المراجع الأجنبية

Benveniste, É. (1971). *Problems in general linguistics*. University of Miami Press.

Dik, S. C. (1997). *The theory of functional grammar: Part 2: The complex clause*. Mouton de Gruyter.

Grice, H. P. (1975). *Logic and conversation*. Academic Press.

Langacker, R. W. (2008). *Cognitive grammar: A basic introduction*. Oxford University Press.

Levinson, S. C. *Pragmatics*. Cambridge University Press.

Partee, B. H. (1993). *On the "Scope of Negation" and Polarity Sensitivity*. Prague.

Saeed, J. I. (2009). *Semantics* (1st ed.). Wiley-Blackwell.

